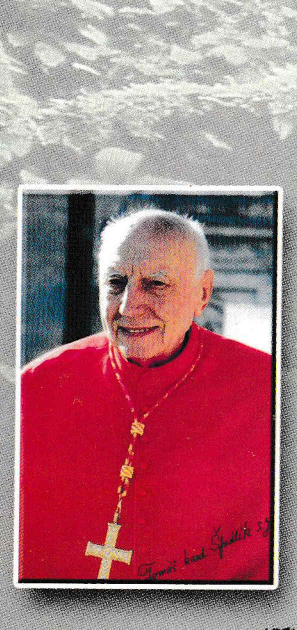


نحن في الثالوث

دراسة موجزة عن سرّ الثالوث

تأليف
الأب توماش شبيدلك اليسوعي

ترجمة بتصرف عن الإيطالية
الإكليريكي دانيال أيوب



مؤلف الكتاب:

الأب توماش شبيدلك اليسوعي

السلوفاكي الجنسية، وهو أحد المتخصِّصين في علم الآباء الشرقيين، وقد عمل لسنوات عدة بالتدريس في معهد الدراسات الشرقية بروما وفي جامعات بابويَّة أخر إلى جانب إقامته وعمله بمركز "أليَّتي- ALETTI" المتخصص في الدراسات الشرقية. وله العديد من المؤلفات التي تُرجمت إلى العديد من اللغات اللاتينية والشرقية وأشهرها كتاب "الروحانية الشرقية". وقد منحه البابا يوحنا بولس الثاني رتبة كاردينال في أكتوبر ٢٠٠٣، نظراً لما يقوم به من أعمال وكتابات.

نحن في الثالوث

دراسة موجزة عن سرّ الثّالوث

تأليف

الأب توماش شبيدلك اليسوعيّ

ترجمة بتصرّف عن الإيطاليّة

الإكليريكيّ دانيال أيّوب ثابت

تُرجم هذا الكتاب من النصّ الإيطاليّ بعنوان :

Noi nella Trinità

Lipa Edizione, Roma 2000 .

الكتاب : نحن في الثّالوث

المؤلف : الأب توماش شبيدلك اليسوعيّ

المترجم : الإكليريكيّ دانيال أيّوب ثابت

الناشر : مركز القديس بطرس للبرمجة والنشر- مصر

المطبعة : الكلمة – أسيوط ☏ : ٠٨٨٢٢٩٥٩٣٨

رقم الإيداع : ٩٤٠٤/ ٢٠٠٥

إهداء إلى

والديَّ الأحباء

تقديـــم :

كم من مرة راح ابناؤنا المؤمنون يطالبون، وبكل حق، الذين قلدّهم الله سلطة التعليم في كنيسته وحمّلهم مسـئوليتها، باصـدار المـزيد من الكتابات اللاهوتية والتعليمية، التي من شأنها أن تساعدهم على فهم افضل وأعمق للمبادئ والحقائق الإيمانية.

وها نحن نشهد في الآونة الأخيرة بواكير مبادرات ايجابية في هذا المجال، أعني مجال التأليف والترجمة والنشر، نابعة من أماكن متفرقة وعن اشخاص مختلفين، يربطهم ويوحّدهم حـب الكنيسة والإخلاص لها والاحساس بالمسئولية تجاه ابنائها. إن هذه المبادرات لجديرة بالتشجيع، لكـي تسـتمر وتنمو وتتطّور، وربما توحّدت يوماً من الأيام لتحقيق حلماً عزيزاً على ابناء الكنيسة، بأن يكون هناك دار للنشر والتوزيع، يعمل على بث الثقافة الدينية الحقيقية في ربوع كنيستنا الكاثوليكية بمصر .

إنـنا نـثني عـلى هـذا المجهود، الذي قام به **الإكليريكيّ دانيال أيّوب** لاستثمار ما تعلمه من لغات وتوظيف ما لديه من وقت مستفيداً من فترة الخبرة التي يقـوم بهـا استعداداً للخدمة، في إخراج ما يفيد الخدام

مقدمة المترجم :

منذ بداية المسيحيّة، أي منذ أكثر من ألفي عام، ومازالـــت معضلة الإيمان بالثالوث القدوس بالنسبة لنا كمسيحيّين قائمة حتى يومنا هذا. حقاً إنها مشكلة صعبة للغاية بالنسبة لنا، أكثر مما كانت من قبل، وأدت صعوبة هـــذه المعضـــلة منذ فجر المسيحية إلى بزوغ العديد من الهـــراطقة، الذين أرادوا أن يشرحوها بفكرهم البشري المحـــدود. لكـــن الكنيسة تصدَّت لهم على مر الأجيال، ومازالت تتصدى حتى تظل مُحَافِظَةً على وديعة الإيمان الحقيقي، ومع ذلك مازالت الصعوبة قائمة! فهل نتوقف أمـــام هذه الصعوبة؟ هل نظل بعيدين عنها غير باحثين عـــلى فهمهـــا؟ فحسن أن نبدأ محاولة تبسيط وتسهيل العبارات التي نستخدمها في كلامنا عن الثالوث. محاولين البحث بربط الثالوث القدوس وتشبيهه بما نحيا في واقعنا المعـــاش. وهذا ما فعله المؤلف واللاهوتي العظيم **توماش شـــبيدلك** اليســـوعي في هذا الكتاب الذي بين يديك عزيـــزي القارئ، فقد رأيت في عرض المؤلف لموضوع الـــثالوث أسلوباً جديداً متسعاً في الفكر والآفاق معاً، يســـاعدنا جميعاً على فهم الموضوع بشموليته، فكعادته يســـتخدم أسلوبه السهل الممتنع. ولهذا السبب قد قمت

بـــترجمة هذا الكتاب، لأنه يربط الثالوث القدوس بحياتنا الواقعـــية المعاشة، بصفة خاصة **الحياة الزوجية**، **الحياة المكرســـة**، **الصـــداقة**، **الصـــلاة**، **تفاعلات الإنسان الداخلـــية**، **الكنيســـة** مستشهداً بالكتاب المقدس فيما يقـــول. لأن جمـــيع العقـــائد هي مجموعة من الحقائق المستمدة من الكتاب المقدس التي يدين بها المسيحي، طبقاً لتعاليم كنيسته التي ينتمي إليها، من أجل أن يحيا بها حياة مثمرة روحياً في حياته. فإذا كانت لديك المرونة الفكرية والاتســـاع الأفقـــي غير التقليدي، فَقَلِّبْ متأمّلاً هذه الصفحات، وإن لم يكن لديك القدرة على ذلك فاتركها وشأنها.

وبهـــذه المناســـبة أود أن أشـــكر العاملين بمركز "ألـــيتي- **ALETTI**" بروما على سماحهم لي بالقيام بهذا العمل- وهو الثاني بالنسبة لي بعد كتاب **تعاليم عن الكنيســـة** وهـــو للمؤلف نفسه. كذلك أتوجّه بخالص الشـــكر والتقدير إلى كلّ من الإكليريكيّ/ **هدية تامر**، والأب/ **بولس ميخائيل** على اهتمامها بالمراجعة اللغوية لنص الترجمة العربية. كذلك أتقدم بشكري العميق إلى صـــاحب النـــيافة/ **الأنبا كيرلس وليم** مطران أسيوط للأقـــباط الكاثوليك على تقديمه لهذا العمل. متمنياً أن

يكون هذا الكتاب بمثابة يدٍّ عون ووسيلة مساعدة، لكل مـــن يضـــطلع عليه مريداً معرفة جزء بسيط عن حقيقة الثالوث القدوس.

الإكليريكي دانيال أيّوب ثابت

المقدمـــة:

إن هذا الكتاب لا يتحدث عن الله، إنما يتحدث في الله ذاتـــه! إنه لايجادل ولا يناقش على ماهية السر، لكنه يدخل بكَ إلى عمق السر الثالوثي، من خلال الخبرة الروحـــية الطويلـــة المصـــحوبة بالدراسة المتعمقة، التي تســـاعدنا على الدخول في عمق حياتنا التي نحياها، في عمق قلوبنا، إلى عمق كياننا. من خلال إلقاء الضوء على بعـــض النصوص الكتابية، وبالرجوع إلى ما ذكره آباء الكنيســـة عـــلى مـــر العصور، وبالاستشهاد بالخبرات الروحية لبعض الشخصيات. غنى هذه الصفحات يُظهر حقـــاً عمل المحبة العظيم المقدم من الله للإنسان على مر العصور. لأن الله يفتح للإنسان المجال ليفكر فيه ويساعده عـــلى التوصل لمعرفة طبيعة حياته الإلهية، من خلال ما يوحـــي به له من معرفة حقيقة. إنها معرفة مصحوبة من الإنسان بالحب الإلهي الذي يدفعه للسعي لاكتشاف ما هـــو مكنون من عظمة داخل سر الثالوث القدوس. إنه سعي مصحوب بشجاعة وحب لا مثيل لهما من الإنسان المحـــب حقاً لله في حياته. يريد من خلالهما أن يمجد الله تمجيداً فعَّالاً من خلال خبرة حبه وعلاقته الشخصية به، مـــن خـــلال صلاته وتواضع قلبه المملوء بالإيمان. لأن

معرفة حياة الله تأتي للإنسان، ويستطيع أن يعرفها من خلال تجاوبه على دعوته وتفاعله مع كلماته المقدسة. من خلال التأمل الصامت والدخول في حوار معه. إن هذه الصفحات تُقَدِّمُ لنا بطريقة سهلة للغاية جزءاً من حقيقة الله الثالوثية، وقد قدَّمها لنا المؤلف واللاهوتي العظيم بطريقة سهلة، بطريقة روحية حتى لا تكون معرفتنا العقائديةُ لله بعيدةً عن حياتنا الروحية. وهو يجمع هنا صفة لا يتمتع بها إلا القليل من الأشخاص، فهو أستاذ في اللاهوت الشرقي ولدية معرفة تامة باللاهوت الغربي، لذلك نجده يقدم لنا ويحاورنا في المجالين المختلفين لما يمثل إيمان الكنيسة. وبالإضافة إلى ذلك فهو يقدم لنا من خلال هذه الصفحات خبرتَه الروحيةَ بطريقة سهلة، حتى يتثنى لنا الدخول في عمق السر الثالوثي الإلهي ليساعدنا حقاً أن نشهد بالله من خلال عمل الروح في حياتنا.

برونو فورتي

الفصل الأوّل

الإنسان أمام السرّ

صلاة الافتتاحيّة

الخاصّة بِعيد الثّالوث القدوس

إنّه حقًّا واجب علينا أن نشكرك دائمًا،
وفي أيّ مكان أيّها السّيّد الآب القدّوس،
أيّها الإله القدير الأزليّ الدائم.
مع ابنك الوحيد والروح القدس، لأنّك حقًّا أنت إله واحد،
ربٌّ واحد، ليس في اتّحادكم في الشّخصيّة الواحدة،
بل في اتّحادكم الثّالوثيّ المتساويّ.
ونحن نؤمن بكلّ ما أظهرتَه وأوحيتَ به إلينا من مجد،
وبالإيمان ذاته وبدون تمييز، نمجّد ابنك مع الرّوح القدس،
نبشّر معلنين أنّك الإله الحقيقيّ الأزليّ،
نمجّد الأشخاص الثّلاثة المتّحدين في الطّبيعة،
المتساوين في الكرامة والمجد الإلهيّ.
الملائكة ورؤساء الملائكة،
الكاروبيم والسرافيم،
يسبّحون ويمجّدون معًا وبدون انقطاع قائلين:
قدّوسٌ، قدّوسٌ، قدّوسٌ السّيّد الرّبّ إله القوّات،
السّماء والأرض مملؤتانِ من مجدك القدّوس،
أوصانا في أعالي السّموات، أوصانا في أعالي السّموات،
مباركٌ الآتي باسم الرّبّ.

إفتتاحيّة مزدوجة

نقـــرأ في أحد كتب التّعليم المسيحيّ الألمانيّ هذا التّعلـــيق: إنّ أحد خدّام التّربيّة الدّينيّة يوجّه هذا السّؤال لطفلـــة: الآب السّماويّ هو الله، المسيح هو الله، الرّوح القدس هو الله، كيف يمكنهم أن يعملوا معًا؟ بعد تفكير دام لحيظات تردّ قائلة: "**الله يكون اسم العائلة**" إلاّ أن هذه الإجابة جعلت جميع الحاضرين بالفصل يضحكون، لكنّ المدرِّس كان مستغرقاً يفكر في هذه الإجابة! يمكننا حقًّـــا أن نشبّه الله بالعائلة؟ لقد أكّد عدّة مرّات دارسو تـــاريخ الأديـــان، على أن العبادة الإلهيّة الّتي قامت بها الشّعوب الأولى هي بمثابة عبادة الملائكة. كذلك بالنّسبة لآلهـــة الأساطير، الّتي كانت تؤلّه من الأسرة البشريّة في ذلك الزّمان. لكنّ الكتاب المقدّس يظهر لنا العكس من ذلك، وهو أنّ حقيقة وجود الله وكينونته لا تأخذ قوّتها مـــن الإنسان، لكن العكس تماماً، فالله الخالق هو الّذي يعطـــي الإنسان حقيقة وجوده. لذلك إذا اتّفقنا وقبلنا المصطلح الرمزيّ "**العائلة**" كسرّ للثّالوث القدّوس، نصل إلى هذه الخاتمة وهي العائلات الأرضيّة وكلّ المعايشات الإنسانيّة تصير كتشبيه بشريّ للحياة الإلهيّة في السّماء.

في الحقيقة، هناك بعض النّصوص الّتي كتبها آباء الكنيســـة، ليساعدونا في السّير في هذا الاتّجاه. فيخبرنا الكتاب المقدس إنّ الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (تـــك ١/ ٢٦- ٢٧)[١]. ويتساءل القدّيس **غريغوريوس النيصـــيّ**[٢] ويستفسر عن أهمّيّة ومعرفة استخدام اللّفظ "**إنســـان**". كذلك العديد والعديد من الآباء والكتّاب الروحـــيون يضعون في مركز تفكيرهم الإنسان، وبصفة شخصـــيّة مـــن المنطلق الفرديّ، واضعين نصب أعينهم تكوينه الفرديّ بما يحمل من خصائص. وفي هذا السياق

---

١ **ملحوظة**: جميع الاستشهادات الكتابية مأخوذة من الكتاب المقدس الطبعة اليسوعيّة- دار المشرق،- بيروت، طبعة ثانية ١٩٨٨. كما أن جميع الحواشي التّوضيحية، وأيضاً الجمل التّوضحية بين القوسين [...] هي من وضع المترجم. ونعتمد في كتابة بعض الحواشي على معجم الإيمان المسيحي للأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ونشير إليه بهذه بالرقم ١ في نهاية الحاشية. أما البعض الآخر فقد أعتمدنا على بعض المصادر الأجنبية ونشير إليها بالرقم ٢ في نهاية الحاشية.

٢ **غريغوريوس النيصيّ** شقيق القديس باسيليوس، أقامه على كرسيّ نيص الأسقفيّ في قبدوقية (٣٧١). قام بدور وجيه في أسقفيّة الشرق بعد وفاة باسيليوس، وتوفّي بعد ٣٩٤. كان نظريّ العقل، فساعد على تقدّم لاهوت الثالوث من خلال مؤلّفاته العديدة ومواعظه الشهيرة وشروحاته الخاصة بالكتاب المقدس وعلى حياة الإيمان المسيحية، بصفة فيما يتعلق بالأسرار، وركّز كثيراً على أهمية سر العماد. شارك في المجمع المسكوني بالقسطنطينية في عام ٣٨١ (١).

يقبل القديس غريغوريوس في الحقيقة هذا المصطلح "**إنسان**" على أنه شيء غير محدّد، مثله مثل بداية الإنسانيّة الّتي نحن نمثّل جزءًا منها ومتحدين بها. كذلك، تمثّل حياتنا وعلاقتنا الاجتماعيّة معًا انعكاسًا قويًّا للحياة الإلهيّة، وفي مضمون هذا السّياق نجد سرّ الثّالوث القدّوس الّذي يبدو للعديد والعديد من المسيحيّين، بعيدًا جدًّا عن حياتهم العمليّة.

نعرف جيدًا الصّعوبات الّتي تواجهنا في تقدّم الحوار الدّينيّ وتعميقه في هذا الاتّجاه، وأولى هذه الصّعوبات الأساسيّة: إن حقيقة جميع الأديان تنادي بالإيمان بالإله الواحد. ولهذا السبب هناك بعض من مفكري الإسلام يأخذون على المسيحيّين في العقيدة الخاصّة بالثّالوث القدّوس، لأنّهم يعتقدون أن الإيمان بالثّالوث يوقع صاحبه في دائرة التعددية، ويجعله ينكر التقليد الإيمانيّ الذي بدأ مع إبراهيم، والذي يعتبرونه بداية التّاريخ المقدّس.

يردّ المسيحيّون مدافعين عن إيمانهم بهذه العقيدة، موضّحين أنّ وحدة الله الأزليّة السرمديّة تكمن في الأشخاص الثّلاثة، أي الثّالوث القدّوس الّذي هو علامة حقيقيّة قويّة تدلّ على وحدة الله. واضعين بعين الاعتبار

أن هـــذا السّـــر يفوق الإدراك العقليّ والمعرفة البشريّة المخلوقة، ويصبح الخوف الكبير ممَّن يحاول أن يتحاور، وهو غير معترف بالدور الأساسيّ للوحي الإلهيّ في هذا الموضوع، فإذا تمّ الحوار على هذا الأساس فتكون النتيجة عـــدم الوصـــول لحل نهائيّ، وكأنّه شيء لم يكن. في الحقيقة، عندما نتأمّل المعاني الكامنة في **أوّل أسرار إيماننا [سرّ العماد]**، يساعدنا أن نعرف ماهية الحياة اليوميّة الّتي نعيشها، وكذلك يساعدنا أن نحيا عبادتنا بعمق، والدليل عـــلى ذلك نجده في خبرة الآباء الروحيّين، والقديسين المعروفين في تقليد الكنيسة. نحاول في الصفحات القادمة أن نوضّح بطريقة سهلة وبسيطة الإيمان الثّالوثيّ، ودوره ومكانـــته في حياة المسيحيّ بصفة عامّة، مع الإشارة في هـــذا المضمون إلى ما تحويه الحضارة الأوربيّة بخصوص هذا الموضوع.

انعكاس الثّالوث القدّوس في منطق الحضارة الأوربيّة

يقول أحد المفكرين الألمان: **"إنّ المائة عام القادمة يجـــب أن تكـــون زمن التأمّل في الثّالوث القدّوس"**، وذلك حتّى لا تسيطر على عقليّتنا النّاحيةُ العلميّة فقط المنتشرة في أوربا، وتصبح كأنّها شريعة مقدّسة، لذلك

علينا أن نفكّر فيها بحقّ. فمَن يعرف إذا كانت حقًّا الفلسفة الأوربيّة هي الّتي تصل في بحثها لمعرفة العنصر الأساسيّ لاتّحاد الكون. فقد لُقبت الأجيال الأولى بالحكيمة، لأنّها كانت تهتمّ بالفلسفة، وذلك لأنّها عرفت العديد والعديد من الحقائق الهامّة، وكانت حكمتها تكمن في قدرتها على استخدام ما تعرفه من حقائق في الحياة العمليّة اليوميّة. كان لدى اليونانيّين القدماء طريقة خاصّة في ترتيب الأمور، فمثلاً كان من المهمّ لديهم عمليّة الربط المشترك بين الأفكار التي يتوصّلون إليها من خلال معرفتهم، باحثين عن العنصر الأساسيّ الموحِّد لها، وليس المهمّ معرفة الأشياء الكثيرة في حدّ ذاته بطريقة منعزلة، وبهذا حقًّا قد لُقب هؤلاء الفلاسفة بالحكماء ومحبي الحكمة. أيضاً كانت تنطلق دراستهم دائماً من الأصل التاريخيّ والقاعدة في البحث عن أصول الأشياء.

بعض النّقاط الخاصّة بالأوربيّن:

١. **المادة الأوّليّة:** لقد أُطلق على الفلاسفة اليونانيّين لقبُ الحكماء، نتيجة توصّلهم إلى اكتشاف المادّة الأساسيّة الّتي توحّد الكون، وقد اعتبروا هذه المادّة

"**المـــاء**" الّـــذي منه ينبع كلّ شيء. وقد اعتبرت مجموعة أخرى من الفلاسفة المادّة الأوّليّة هي الهواء. ونحـــن هنا نجد أنفسنا أمام معضلة هامّة وهي الّتي مـــنها يتكوّن الوجود [**أي نشأة الوجود من المادّة الأوّلـــيّة**]، وبهـــذا من الصعب علينا إيجاد المكانة لعظمـــة الله وجلالة الإنسان. وهذا هو ما نجده في عـــالم الـــيوم وفي وقتنا الحاضر من خلال حياتنا العملـــيّة، الّتي أصبح المال فيها هو المسيطر الوحيد عليها، بل أكثر من ذلك لقد اعتبر العديدُ من الناس المـــالَ المادّة الأوّليّة في عالم اليوم، نتيجة اعتقادهم الخاطئ بإمكانيّة شراء كلّ شيء بالمال.

٢. **المادّة العلميّة**: إن الخلط بين الأسباب والصُدَف لا يستطيع أن يخلق جمال ونظام العالم الّذي نراه نصب أعينـــنا. ففي الحقيقة، لا يوجد شيء واحد يحدث في العـــالم بمحـــض الصدفة، بل كلّه يتمّ خاضعًا لعوامل وقانون الطبيعة. لَقد لاحظ **فيثاغورس** دوائر الـــنّجوم واكتشـــف أنّ حركتها في الفضاء يمكن معرفـــتها عن طريق الأرقام، وأصبح هذا الانسجام والتّناغم السماويّ من الممكن معرفة انعكاسه على الأرض، وبالطـــريقة نفسها نجد الكثير والكثير من

الأشياء الّتي نعتقد أنّها بعيدة عنّا كلّ البعد في معرفة نظامهـــا، لأنّنا لم نتوصل إلى معرفتها الحقيقيّة، إلا أنّها حقًّا تسير حسب قانون الطبيعة الّذي لا يتغير، والّذي في النّهاية وبسهولة نستطيع أن نطلق عليها الله، وذلك لأنّ نظامها المتناسق يظهر للعالم ويجعلنا نكتشـــف جمالها النّظاميّ الخلاّب. أن نعرف العالم عمليًّا، يعني معرفة القوانين الطبيعيّة الّتي تديره. وقد ساد في نهاية العصر اليونانيّ الرومانيّ القديم تعريفٌ شـــهير خاصّ بالعالم يسمّى **"أسباب العالم"**، والّتي ينطلق حديثها ممّا هو ماديّ ليصل إلى الله. ويظهر ذلـــك بدقّة كتابات الإمبراطور الفيلسوف **ماركو اوريليو**[٣] **Marco Aurelio** لأنّنا نجد في هذه النّصـــوص العمق التصوفيّ، الّذي من خلاله يحاول الإنسان أن ينفّذ إرادة الله في حياته، دون أن يعتبر ذلـــك كقـــانون الطّبيعة الّذي لا يتغير، ممّا يجعل الإنسان ساقطًا في دائرة القدريّة!

٣. **المثاليّة: [مذهب فلسفيّ يهتمّ بالمثاليّة في الفلسفة والفـــنّ، والمثالـــيّة في السّير والسّلوك]**، ويقول

---

٣ ماركو أوريليو هو أحد أباطرة الرومان ولد في عام ١٢١، تبناه الإمبراطور أنطونيو في ذلك الوقت، ثم زوجه ابنته فوستاينا توفي في عام ١٨٠ (٢).

أصـــحاب هذا المذهب: "إنّ العالم بديع في جماله ونظامـــه، وجمالـــه هذا يجعلنا نبحث عن أساس مصدره. لقد حاول أفلاطون وأتباعه أن يكتشفوا وحـــدة هـــذا العالم، من خلال توصّلهم لبعض القوانين الطبيعيّة المنظِّمة له، والحقيقة الوحيدة التي قد توصّلوا إليها هي إعجابهم ودهشتهم بما يدور فـــيه، كذلك رفعة الإنسان وسيطرته على ما هو مـــادّي لأنّه يتميّز بالمعرفة والعقل. وهنا نذكر ما قالـــه باسكال[4] Pascal: "يمكن للعالم المادّيّ أن يُهـــدَم في أيّ لحظـــة، ويظلّ الإنسان له المكانة الأعلى، لأنّ العالم لا يفعل ولا يعرف شيئًا، ولكنّ الإنسان هو الوحيد الّذي له القدرة على المعرفة".

٤. **الوحدة في الله**: إنّ اليونانيّين الّذين يتبعون المذهب الفلســـفيّ العقليّ [**الّذي يقول: إنّ العقل مصدر للمعرفة وأسمى من باقي الحواس**]، وبصفة خاصّة هم من كانوا يعيشون في زمن الماضي القريب، وقد

---

٤ بليز باسكال ولد في عام ١٦٢٣، فيلسوف ورياضيّ وأديب وفيزيائيّ فرنسيّ. له اكتشافات كالآله الحاسبة ونواميس ضغط الهواء والماء وتوازن السوائل. وضع الخطوط الرئيسيّة لكتاب في الدفاع عن الدين المسيحيّ، نُشر بعنوان "خواطر"، فكان لها تأثير واسع، توفيّ عام ١٦٦٢ (١).

عـــانوا كثيرًا من الصّعوبات. وتكمن صعوبتهم في عـــدم قدرتهم على الاختيار لأيّ من هذه الأفكار، لأنّهم لا يعلمون مدى صحّتها ومصداقيّتها، لذلك قـــد اتّفـــق معظم مفكري ذلك العصر، على أن صـــحّة الأفكار يمكن أن تُكتَشَف فيما هو مشترك بيـــنها، ويمكن اعتبار الأفكار صحيحة ُمن خلال توصّـــلنا إلى منـــبعها الحقيقيّ وهو الله. لذلك نجد وحدة العالم في كيانها هي وحدة دينيّة، لأنّنا بدون الله الواحد لانستطيع أبدا أن نصل إلى أصل العالم وكلّ ما موجود به، وظلّت هذه المشكلة موجودة حتّى نهاية العصور الرومانيّة اليونانيّة القديمة.

٥. **الوحـــدة في الله الواحد المثلّث الأقانيم**: في المناخ الّـــذي بُشِّـــر فيه بالإنجيل المقدّس؛ من الطّبيعيّ أن نطـــرح هذا السّؤال: **أيّ جديد قد أتى به الإنجيل بالنسبة لنا؟** إلاّ إنّنا نجد الردّ على هذا السؤال سهلاً جدًّا: جديد الإنجيل أنّه أوحى إلينا وأخبرنا بأنّ **الله أب، شـــخص حيٌّ، شخصيّة تعيش علاقة الحبّ الحرّ مع ابنه، ومع الرّوح القدس**، وعلاقتهم هذه تظهـــر من خلال وحدتهم في الله الواحد. هذا هو بحقّ الجديد الّذي قد أتى به الإنجيل والّذي لم نكن

ننتظره، وهذا ما قد سمّاه **ديونيسيوس الأريوباغيّ**[5] **Dionigi Areopagita** "**وحـــدة ســـامية**"، توحّـــد الأشـــخاص الّذين يعيشون الحرّيّة بصورة كاملة، ومن ناحية أخرى يصبح اتّحادهم سرمديًّا قويًّا. ومن خلال هذا الاتّحاد تُشكّل قوانينُ الحبّ الخلاّقـــة وتولَـــد الأفكار الضّروريّة الّتي لا تتغير، وتظهر صفات الشّخصيّة الحيّة في اشتراكه الكامل مع الآخرين. ألم يكن هذا في يوم ما حلم البشريّة جمعاء **للمسيّا المنتظر**؟ والآن أودّ أن أطرح عليكم هـــذا الســـؤال: بأيّ درجة نحن نفهم ونقبل هذا الوحي كتتميم وختام للحياة الأرضيّة؟

إنّ العقلـــيّين الأوربـــيّين، يـــنظرون إلى الوحي المســـيحيّ ويفكّرون فيه، على أنّه شيء قديم قد عفى علـــيه الزّمان ومضى، وذلك نتيجة لعدم معرفتهم لهذا السّـــرّ العظـــيم. لكنّ اللاّهوت الثّالوثيّ [**أي ما يخصّ الثّالوث القدّوس**] يظهر العكس تمامًا لهذه المقولة: فمن

---

٥ **ديونيسيوس الأريوباغي** ورد ذكره في رسل ١٧/ ٣٤، وهو أحد الذين اهتدوا إلى الإيمان المسيحية عَلى أثر الخطاب الذي ألقاه القدّيس بولس في أهل أثينة. لا نعرف أيّ شيء آخر عنه. ولقد وقع التباس بينه وبين القدّيس ديونيسيوس أسقف باريس (١).

ناحية الله الذي يوحي، لم يتوقّف عن إظهار حبّه للبشريّة جمعـــاء مـــن خلال وحيه المستمرّ لها. ومن خلال هذا الوحي المستمرّ استطاع الإنسان أن يكتشف النّور الإلهيّ في حـــياته، وفي العالم الّذي يعيش فيه، والّذي **(النّور)** كـــان محجوبًـــا عنه من قبل. ربما لم يحدث من قبل في الحضـــارة الأوربـــيّة، أن تعيد حساباتها وتمعن النّظر في دراسة القرون السّابقة، حتّى تستطيع أن تكتشف ما هو كـــامن فيها، وما لا يمكن أن يجهله أحد، كعامل قويّ وأساسيّ ومدعِّم لإيماننا الثّالوثيّ في الله الواحد.

يواصل المشكِّكون قولهم "**كيف يمكن للواحد أن يكون ثلاثة**" بدون تجزئة، وهذا بالطّبع هو الصّواب عينه بالنّســـبة للأشـــياء المادّيّة. أمّا بالنّسبة للأشخاص الّذين يحـــيون الإيمـــان، يؤمنون إيمانًا قويًّا بأنّ ثلاثة أشخاص يشكِّلون شخصيّة واحدة، وهذا هو الغنى الحقيقيّ الّذي يـــزرعه الإيمان في نفوس المؤمنين. ومثال واقعيّ يوضِّح ذلـــك: إذا كان لديك جنيه وصديقك معه أيضًا القيمة نفسها جنيه، وقد اتّفقتما على أن يعطي كلّ منكما ما يملكه، فإلى أيّ من النتائج تصلان أإلى الاتّحاد والمشاركة أم ماذا؟ كذلك بالنّسبة لتبادل الأفكار من منطلق التّعاون والمشـــاركة والغـــنى وعدم الحياة بطريقة منعزلة.وهذه

الأمـــثلة مثـــلها تمامًـــا بالنّسبة لحياة الثّالوث القدّوس، ولرســـالته في حياة المسيحيّين، الّتي يجب أن تكشف عن عمـــق إيمـــانهم بعمل الثّالوث ووحدته في حياة كلّ مَن يؤمن به.

الفصل الثاني

إيمان الكنيسة

نص الخلاصة الإيمانية

الذي وضعه القديس أثناسِيوس[٦]

"إن إيمـــان الكنيسة الجامعة الخاص بهذه العقيدة يتـــلخص في: نؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم، الثالوث الواحد المتحد، بدون خلط ولا امتزاج بين الأشخاص، وبــدون انقســام في طبــيعة كل منهم. لأن الأب له شخصــيته، وكذلك الابن، وأيضاً الروح القدس، ومع ذلك فالثلاثة جميعهم لهم الطبيعة الإلهية نفسها، متساوون في المجد والكرامة، لأن التي هي للآب، هي للابن وأيضاً للــروح القدس . الآب غير مخلوق، الابن غير مخلوق، كذلــك الــروح القدس غير مخلوق. الآب غير محدود، الابن غير محدود، الروح القدس غير محدود. الآب أزلي، الابــن أزلي، الروح القدس أزلي. وبهذا لايعني أن الثلاثة

---

٦ ولد **أثناسِيوس** في عام ٢٩٨، وهو بطريرك الإسكندريّة وأحد آباء الكنيسة. أســهم بشخصــيّته وذكائه، مع أنّه لم يكن إلا شماساً إنجيليّاً، في حمل المجمع النــيقاويّ (٣٢٥) على حَرم البدعة الأريوسيّة. أُقيم بطريركاً على الإسكندريّة في عــام ٣٢٨، لكنَّ تمسّكه بتعليم المجمع النيقاويّ كان سبب نفيه خمس مرّات عــن يــد الأســاقفة المتحالفين مع الأريوسيّين. يُحتفل بعيده في ٢ مايو. من مؤلفاته: "ردّ على الوثنيّين" و "في تجسّد الكلمة" و "الدفاع عن الإيمان ردًّا على الأريوســيّين" و "رســائل في مقــرَّرات نيقيا" ورسائل إلى سيرابيون في الروح القدس، توفيّ عام ٣٧٣ (١).

أزلـــيون لكن متحدون معاً مكونين طبيعة أزلية واحدة، كذلك يجسدون شخصية واحدة غير مخلوقة.

الآب قدير، الابن قدير، الروح القدس قدير، وهذا لايعـــني ثلاثة أشخاص لهم صفة القدرة، لكنهم يتحدوا ليمـــثلوا الشخصـــية القديرة الواحدة. الآب هو الابن، والابن هو الآب، الآب هوالروح القدس والروح القدس هـــو الآب، وهذا لا يعني أنهم ثلاثة آلهه، لكنه يعني أنهم إلــه واحد. الآب هو السيد والابن هو السيد، الروح القـــدس هـــو السّيد أيضاً، وهذا أيضاً لايعني أنهم ثلاثة أسياد، لكن اتحادهم يجعل منهم سيداً واحداً. وهذا لأن الحقيقة الإيمانية الجامعة الكاثوليكية تحتم علينا معرفة كل واحـــد مـــن هذه الأشخاص الثلاثة مثل السيد والرب، وترفض تماماً ان نعرف ثلاثة آلهه. الله لم يُخلق و لم يولد، الابـــن وحده هو مولود من الآب وغير مخلوق. الروح القدس منبثق من الآب والابن وهو مولود وغير مخلوق. وخلاصـــة القول يوجد إله "**الآب**" واحد وليس ثلاثة، كذلك **ابن** واحد وليس ثلاثة، **روح قدس** واحد وليس ثلاثة. في هذا الثالوث القدوس لا يوجد اختلافات نهائية بينهم، لأنهم ثلاثة أشخاص متساوين تماماً، ولذلك يمكننا القول لنمجد الثالوث المتحد، والاتحاد في الثالوث".

خبرة النساك والمتعبدين

لقد كتب النساك والمتعبدون عن الثالوث القدوس من خلال وجهة نظرهم التعبدية، ومن خلال تأملهم الطويل المتواصل في عمق هذا السر، لذلك اُعتبروا كأنهم بمثابة الدعم لغنى الحياة الروحية المسيحية. ونستعين هنا ببعض الأمثلة بصفة خاصة ممن عاشوا في العصور الوسطى.

القديسة الدجاردا دي بنجن[7] Ildegarda di Bingen:

إن كتابات هذه القديسة جميعها قد وضعت باللغة الألمانية في القرن الثاني عشر. وهي تتحدث وتذكر مراراً عديدة في كتابتها عن رؤيتها للثالوث القدوس، ولم تستطع أن تصف هذه الرؤى بكلمات بشرية، ولكنها قد وجدت طريقة رمزية استطاعت من خلالها أن تشرح وتعبر عن جزء من كل ماتراه، فنراها قد استخدمت **النور، اللون الأحمر، والنار**، وقد شبهت الله الآب بالنور الذي من خلال حبه ونوره، يهب الإنسان إياهما في قلبه فيستطيع أن يؤمن به. أما اللون الأحمر من خلال

---

7 القديسة الدجاردا دي بانبين راهبة بندكتينا ولدت في عام ١٠٩٨، كانت عبادتها وتأملاتها منصبة على الثالوث القدوس، وكتاباتها الروحية تدل على عمق خبرتها، يحتفل بعيدها يوم ١٧ سبتمبر في الطقس اللاتيني توفيت عام ١١٧٩ (٢).

قــوة وعمق لهيبه النابع من داخله فهو يعبر عن قدرة الله الــذي استطاع أن يجعل ابنه الوحيد مولوداً من عذراء. أمــا الــنار فهــي تمثل الروح القدس التي تلهب قلوب المؤمنــيين بالحــب تجــاه الله الخالق حتى النهاية. وبهذا اســتطاعت هــذه القديسة أن توضح الثالوث القدوس والمحــتوي عــلى ثلاثة أشخاص متحدين اتحاداً إلهياً ولا يوجد فرق بينهما في الصفات الإلهية.

القديسة جيرتورد[٨] Gertrude

لقــد كانــت هذه القديسة متحدة اتحاداً كاملاً بالمسيح، وهذا هو هدف الحياة النسكية كما يعرف جميعنا. وهذا ساعدها كثيراً في أن تكتشف سر الثالوث القدوس اكتشــافاً طبيعــياً، وقد مكّنها هذا من اكتساب النعمة الإلهية والحكمة في حياتها التعبدية للثالوث القدوس.

٨ القديسة جيرتورد راهبة ألمانية ولدت في عام ١٢٥٦، كانت حياتها الروحية بمــثابة تأمل عقلي في الكتاب المقدس وسر الثالوث القدوس، يحتفل بعيدها في ١٦ نوفمبر في الطقس اللاتيني توفيت عام ١٣٠٣ (٢).

يوحنا روسبيرسيك[9] G. Ruysbroeck

ناسك معروف وهو الذي يشرح خبرته التأملية في الثالوث القدوس، معتبراً إياها كمن يشرب من نبع المياه الحي الذي لا يجف أبدا، لأنه يصبح متحداً بالحب ذاته. وذلك لأن علاقة الحب التي تجمع بين الأشخاص الثلاثة [**الآب، الابـن، والـروح القـدس**] هي علاقة حب متجددة دائماً وتحتضن كل من يقترب منها. أيضاً هذه العلاقـة الحبـية لا تعيش في زمن الماضي ولا في الزمن المستقبل بل تعيش الزمن الحاضر الأزلي، وتعبر عن ذلك باحتضـانها لكل الأشياء. لأن الله من خلال حبه خلق جميع الإشـياء، وهو مازال يرعاه بعنايته غير المتناهية. لذلك في يوم الدينونة سنجد الأرواح البارة تعكس نور الله الحقيقي، وستشابه الثالوث القدوس في مجده.

---

٩ يوحـنا روسبيرسيك G. Ruysbroeck ولد في عام ١٢٩٣ بأحدى مدن فرنسا، سيم كاهناً عندما كان عمره ٢٤ عاماً وهو ينتمي لجماعة القديس أغسطينُس، توفي في عام ١٣٨١ (٢).

القديسة كاترينا السيانية[10]

Caterina di Siena:

لقد استطاعت من خلال اتحادها بالمسيح يسوع في حياتها التعبدية أن تعلم مقدار وأهمية العلاقة مع الثالوث القدوس في حياتها، هذه العلاقة التي تفعم بالحب الإلهي الثالوثي، وتنعكس على روح كل من يتحد بها، وعبرت عن ذلك بقولها: **"أيها الثالوث الأزلي، يامن تجعلني أعرف أن الحياة معك عبارة عن بحر يعكس الحب المتدفق النابع من بين يديك، اجعل عينيَّ وروحي تنظران إليك دائماً حتى أكون حاضرة لك ومعك وفيك، لأنك خلقتني من فيض حبك، حتى أستطيع حقاً أن أعبِّر عن معرفتي لك وأحيا انعكاس مجدك في حياتي".**

---

١٠ القديسة كاترينا السيانية ولدت عام ١٣٤٧، وهي قدّيسة إيطاليّة متصوّفة أثّرت في رجوع البابا غريغوريوس الحادي عشر من أفينيون جنوب غرب فرنسا إلى روما. وهي من الرهبانة الدومنيكانيّة الثالثة. لها كتاب مشهور هو "حوار الحكمة" توفيت في عام ١٣٨٠ (١).

القديسة تيريزيا الأفيلية[١١]

Santa Teresa d'Avila :

لقد عاشت القديسة تريزا خبرة حياتية عميقة مع الثالوث القدوس، وعبَّرت عن خبرتها هذه في يوم الثلاثاء بعد عيد الصعود في عام ١٥٧١بقولها: **"إن نفسي راغبة في أن تتحد بأشخاص الثالوث القدوس، حتى تحيا في حضورهم، وتتمتع برؤياهم، وحقاً إنني أشعر وأحس بحضورهم الفعلي في حياتي وعقلي، مثلهم كمثل صورة حقيقية للحقيقة المطلقة، وهذا ما ساعد عقلي المحدود أن يدرك هذه الحقيقة الإيمانية الهامة، وهي الله واحد مثلث الأقانيم. لقد شعرت في هذه اللحظة بالرغبة في الهروب من أمام هذه العظمة الإلهيه، ومن أمام الأشخاص الثلاثة [الآب، الابن، والروح القدس] الموجودين معي وفي حياتي. إنهم حقاً ساكنون**

---

١١ القديسة تيريزيا الأفيلية من أكبر المتصوّفين الكاثوليك. قامت بإصلاح الكرمليّات. فعانت مختلف المحن والعذابات (١٥١٥– ١٥٨٥).بثّت روحاً جديدة في جميع ما أسّسته وهو روح الزهد والتقشّف، والفرح والورع، والشعور الرسوليّ العميق. روت كلّ ذلك ببساطة ومرح ولباقة أنثويّة في كتبها: "سيرة ذاتيّة"و "طريق الكمال" و "القصر الباطنيّ" و "كتاب التأسيسات" (١).

نفسي، حقاً إنني أراهم وأرى عملهم في حياتي، وأراهم في كل الخليقة وسيظلون مرافقين لي حتى النهاية".

القديس يوحنَّا الصليب[١٢]

San Giovanni della croce :

يكتب القديس يوحنا عن خبرته مع الثالوث القدوس قائلاً: **"الشخص الناضج الذكي تجب عليه معرفة أن عقله يستنير من خلال الاقتراب بالله الواحد المثلث الأقانيم منبع النور الإلهي لكل الخليقة"**. وبهذا تصبح العلاقة مع الله الثالوث القدوس علاقة إيجابية بالنسبة للإنسان، عن طريق الابن الذي كشف لنا هذه العلاقة بقوة وعمل الروح القدس. ومن خلال هذا يتحتم على الإنسان أن يعرف ماهية مشيئة الله في حياته، عن طريق حياة. الحكمة الممتدة لنا من الابن، وبالإصغاء للروح القدوس، نستطيع أن نحيا مشيئة الآب السمائي على هذه الأرض.

---

١٢ **القديس يوحنَّا الصليب** عاون القدّيسة تيريزيا الأفيلية في إصلاح الكرمليات (١٥٤٢-١٥٩١). من أشهر الصوفيّين الكاثوليك. تعكس أعماله اختباره الصوفيّ، وهي تُعدّ عرضًا تقليديًا للعقيدة الصوفيّة: تصف مراحل الحياة الروحية التي تُدعى النفس إلى المرور بها. لا شك أنّ وصفه ل "ليالي" الحواس والعقل وتطهير القوى، والمساعي نحو "الزواج الروحيّ" و"نشيد العروس" تُلقي درساً في اللاهوت الصوفيّ لا غبار عليه، وتشهد لجمال اختباره وعمقه. من أعماله: الصعود إلى الكرمل، والليل المظلم، وشعلة الحُب الحيّة، والنشيد الروحيّ (١).

القديس إغناطيوس دي لويولا[١٣]

San'Ignazio di Loyola :

إن عبادة الثالوث القدوس هي من العبادات التقليدية الهامة في إسبانيا، لذلك قد خصص القديس **إغناطيوس دي لويولا في** برنامج صلواته جزءاً كبيراً من الوقت لعبادة الثالوث القدوس، واضعاً برنامج صلواته اليومية ومحدداً كل يوم شخصاً من أشخاص الثالوث القدوس للعبادة. ولم يكتفِ بهذا، بل استطاع أن يكتب ما يعيشه من علاقة مع الثالوث، فكتب خواطرَ جاءت في كتيب روحي يقود لمعرفة الصلاة ومعايشتها مع الثالوث. وهذ كله جعل أحد المتخصصين في كتابات وروحانية القديس إغناطيوس دي لويولا أن يقول هذه الكلمات: "**يبدأ القديس برؤية الأشخاص الإلهية ويصعد معهم، أي يدخل معهم في حوار حيٍّ حتى**

---

١٣ **إغناطيوس دي لويولا** ولد في بلاد الباسك الإسبانيّة عام ١٤٩١، وتاب إلى الربّ فأنعم الله عليه بنعم صوفيّة ممتازة، وشعر بدعوة إلى الحياة الرسوليّة. في عام ١٥٣٩، أنشأ مع بعض رفاق له الرهبانيّة اليسوعيّة، في خدمة الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ المباشرة. دوّن في كتيّب "الرياضات الروحيّة" خبرته الروحيّة، وهو يفيد بها النفوس الكريمة. وسيكون لهذه الرياضات صدى بعيداً، كطريقة حياة روحيّة وكطريق لاكتشاف المسيح. إنّ روحانيّة إغناطيوس المركّزة على "الخدمة" هي عبادة الله للعمل بمشيئته، توفيّ عام ١٥٥٦ (١).

يصل إلى الاتحاد الإلهي الكامل معهم. عندما كان ينهي صلاتة وعبادته الموجهه للثالوث في كثير من الأحيان لم يكن مصدقاً لما كان يحدث، إلا أنه في النهاية يعبَّر عن ذلــك بكــلمات مفعومة بالحب للثالوث القدوس، وبصــفة خاصة للمسيح الوسيط الوحيد الذي علمنا وأعلن لنا عن هذا السر العظيم من خلال تجسده على أرضنا. لم تكن هذه الرؤيةُ الرؤيةَ الوحيدةَ التي قد رأها القديــس إغناطيوس، لكن هناك العديد والعديد من الــرؤى الخاصة بالثالوث القدوس، التى إذا أردنا أن نــدرس كلا منها على حدة تحتاج لزمن طويل، لأن القديس في كثيرٍمن الأحيان لم يكن يعرف كيف يعبَّر عمــا يــراه بكلمات، لأن الرؤى كانت تفوق عقله البشري، مما جعله يجد صعوبة كبيرة في إيجاد الكلمات والمصطلحات الخاصة ليعبر عن ذلك".

أيضاً يوضح ما جاء في كتابات القديس إغناطيوس أن اساس الحياة الروحية يجب أن يكون نابعاً من الحياة الإلهية، وهذا يساعد الشخص على أن يحيا دائماً العلاقة القويــة المــتجددة مــع الله الذي يسكن فيه، مما يجعل الإنسان يسعى دائماً في أن يعمل بدوره، كي يقلل ويحد

من المسافة بينه وبين الله من خلال مسيرته الروحية التي يعيشها. لأن القديس إغناطيوس في رؤياه الثالوثية يرى يسوع المسيح الوسيط الوحيد لجميع البشر أمام الثالوث القدوس. لذلك يتوجب على صلاتنا وأفعالنا وأعمالنا المسيحية أن تكون مصطبغة بالصبغة المسيحانية، أي أن يكون المسيح هو مركزها. وهنا أذكر قصة ساعدته كثيراً في حياته وقبل وصوله لروما بعدة **أميال**[١٤] فدخل إحدى الكنائس الصغيرة وبدأ في الصلاة، إلا أنه شعر فجأة باستنارة وتحول داخلي في نفسه، لأنه قد رأى وبطريقة واضحة لا مثيل لها، ولم يرها من قبل في كل رؤاه وهي: إن الله الآب مع ابنه يسوع المسيح مما جعل القديس يشعر بهذا التحول، الذي هو من قبل الله والمعطى له كهبة مجانية في بداية مشواره التأسيسي لجماعته الرهبانية. كذلك ساعدته هذه الرؤيا أن يختار اسم المسيح يسوع لجماعته الرهبانية حتى يصير كل من ينتمي لهذه الجماعة صديقاً حقيقياً ليسوع المسيح. وبعد ذلك بحث مع أصدقائه المنتمين لهذه المجموعة في كيفية تأسيس هذه الجماعة بطريقة متحدة، وفي النهاية قد

---

١٤ الميل هو وحدة لقياس مسافات الطرق ومستخدم حتى يومنا هذا ومسافته ١٤٧٨ متراً (٢).

توصلوا معاً أن هذه الجماعة يجب أن تكون متحدة على مــثال الــثالوث القدوس فاتخذوه مثالاً لهم في حياتهم، مــتحدين في الإرادة والفكر. ومن هذا المنطلق نجد أن نظام الرهبنة اليسوعية قد نبع من داخل أعضائها مفعماً بحبهم للثالوث القدوس وللأشخاص ذاتهم.

القديسة اليزابتا الثالوثية[١٥]

Elisabetta della Trinità :

نــنهي الآن هذه الأمثلة المذكورة بحبها للثالوث القــدوس، بمثل ليس ببعيد عن وقتنا الحاضر: القديسة اليزابيــتا التابعة لراهبات الكرمل في فرنسا، عاشت في الفــترة (١٨٨٠- ١٩٠٦). وإذا كنتُ قد ذكرت من قــبل أن القديس إغناطيوس دي لويولا أراد من خلال جماعته الرهبنية أن يمجّد الثالوث القدوس في العالم، إلا أن هــذه القديســة كرست حياتها لتمجيد الله، أيّ **أن تجعــل نفسك مسكناً للثالوث القدوس**، ومقولة لها في هــذا الســياق: "**إن نفســي هى السماء حيث أنتظر**

---

١٥ القديسة اليزابتا الثالوثية Elisabetta della Trinità ولدت في عام ١٨٨٠ بفرنســا، التحقــت برهبنة الكرمل في عام ١٩٠١، صلواتها وتأملاتها كانــت منصــبة على التأمل في حياة الثالوث القدوس، توفيت في ١٩٠٦ بعد صراع شديد مع المرض،أُعلنت قداستها في عام ١٩٦٦ (٢).

أورشـــليم السمائية، لذلك يجب عليَّ أن أحياء بجوار ومـــع من هو أزلي في مجده، ليس لي رغبة في مجد آخر سوى أن أعبد الثالوث القدوس بلا انقطاع".

صور الثالوث:

كيف يمكننا أن نتصور ونشبه ما هو غير مرئي بمـــا هو مرئي؟ أليس هذا ما قد حرَّمه العهدُ القديمُ "*لا تصـــنع لكَ منحوتاً ولا صورة سيءٍ مّما في السماء من فـــوق، ولا ممّا في الأرض من أسفل، ولا مّما في المياه من تحـــت الأرض. لا تسجد لها ولا تعبدها، لأن أنا الربُّ إلهـــكَ إلهٌ غيور*"، (خر ٢٠/ ٤- ٥)؟ وأيضاً كان هذا العـــامل الأساسي في شن حرب الأيقونات التي وضعتها الكنيســـة وحاولت أن تعبّر بها عمّا هو غير مرئي. لقد كـــان كـــل هذا فعلا ولكن ردنا على هذا اليوم: **أن المســـيح يســـوع الإله الغير المرئي قد تجسد وأصبح صـــورة مرئية في جسد لحمي. وبهذا أصبحت الصورة الحقيقـــية لله تظهر من خلال ابنه يسوع المسيح الذي قـــال بنفسه وأكد** قائلاً: "*من قد رآني فقد رأى الآب*" (يـــو ١٤/ ٩). ومن خلال نظرتنا وعلاقتنا الروحية مع يسوع المسيح نستطيع أن نرى ونعرف الثالوث القدوس.

والأيقونـــه الـــتي تساعدنا على فهم ذلك بطريقة أعمق للـــثالوث هي مشهد العماد الخاص بيسوع ذاته على يد يوحنا المعمدان، الذي عرّف المسيح على أنه حمل الله وفي لحظة العماد نجد السماء تنفتح وصوت الآب يقول: هذا هو ابني الحبيب، والروح القدس يظهر على شكل حمامة كي يؤكد على وحدة الثالوث.

إن معرفة يسوع المسيح، الأقنوم الثاني من الثالوث القـــدوس، العنصر الأساسي في الإيمان المسيحي. وهذا يظهـــر الـــنموذج الحقيقي لعرش مجده والذي عبّر عنه المسيحيون الأوائل في الحقبة الرومانية الأولى. وقد عبَّروا عـــن ذلك وشرحوه من خلال الرسومات التوضيحية، ففـــي إحدى اللوحات نجد الله الآب جالساً على عرش مجـــده محتضـــناً المســـيح مع الصليب، وحمامة ترفرف بجناحـــيها فيما بين الآب والابن، وهي كما نعرف رمز للـــروح القـــدس. فهذه اللوحة تعبير حقيقي عن اتحاد الـــثالوث القـــدوس. حتى وأن كانت دائماً توجد لدينا الصعوبة في تصور هذا الاتحاد، إلا إننا لا يمكن علينا أن نتجاهله في حياتنا وإيماننا. كذلك في كل تعاليمنا المسيحية قـــد ارتبط الصليب بموت الابن الذي ضحى بذاته من أجل البشرية جمعاء وهذا بالطبع صحيح، هل نستطيع أن

نتخيل أن الآب كان بعيداً عن الابن في هذه اللحظات الصعبة التي مر بها من الآلم وكذلك الروح القدس؟ لأننا إذا كـنا نؤمـن بأن الابن كان في حضن الآب الأزلي وتجسد في بطن العذراء بقوة الروح القدس، فكيف يمكننا أن نتصـور أو نتخيل أن الله الآب أو الروح القدس قد تركاه وحيداً في أشد اللحظات.

أيضـاً توجد إحدى الأيقونات التي تجسد صورة الابـن في حضـن أمه مريم العذراء، مصحوبة بحمامة وفوقهـم جميعاً تظهر يد الله الآب. فمعنى هذه الأيقونة من الناحية اللاهوتية واضح جداً وهو، أن مريم العذراء قـد اشـتركت في أن تساعدنا على اكتشاف الثالوث القدوس بقبولها تجسد يسوع المسيح ابن الله الأزلي بقوة الـروح القدس، وبذلك أصبح من الصعب الفصل بين مـريم العـذراء والمسيح والروح القدس والله، لأن كلا منهم قد عمل جزءاً هاما في إظهار الحقيقة الثالوثية.

إن شارحي وراسمي الأيقونات الشرقية عبَّروا عن المشـاهد الثالوثـية التي نستطيع أن نستشفها من العهد القـديم، وأول هذه المشاهد هو ابراهيم الذي لم يبخل بابنه الوحيد كذبيحة لله، ليس هذا المشهد الوحيد فقط الـذي يخص ابراهيم، إنما المشهد الشهير والمعبِّر بصورة

واضـــحة عــن الثالوث هو ابراهيم في استقباله للثلاثة أشخاص في (تك ١٨/ ١- ١٥)، وهم الذين جاؤا إلى إبراهــيم في شكل ثلاثة ملائكة كي يخبروه بميلاد ابنه. وقد علق بعض من الآباء على هذا المشهد الثالوثي الذي قد جسَّده الرسام المعروف **أندريا روبلف**[١٦] **Andrei Rublev** في إحــدى أيقوناته، واضعاً الملائكة الثلاثة جالســين على نفس المستوى في العرش الإلهي، وأمامهم كأس واحدة، وهذا يدل على اتحادهم في المعرفة والإرادة والقوة، لذلك علينا نحن كمسيحيين أن نؤمن كل الإيمان وبثقة غير محدوده بأنه لايوجد فرق بين أشخاص الثالوث القدوس [الآب والابن والروح القدس]. حتى نستطيع أن نعبر حقاً عما نردده في قانون الإيمان عندما نقول: "**نور من نور، إله حق من إله حق**" لأن هذا هو إيماننا الثالوثي بالله.

---

١٦ أندريـــا روبلف Andrei Rublev رسام وفنان روسي ولد في عام ١٣٦٠، واعتـــبر من أعظم راسمي الأيقونات في العالم ومن أشهر أعماله أيقونة الثالوث القدوس، توفي في عام ١٤٣٠ (٢).

الفصل الثالث

الكتاب المقدّس والتقليد

العهد القديم:

أتذكر جيداً زيارتي التي قمت بها لقبر أبينا ابراهيم أبي الآباء منذ سنوات عديدة، أثناء الحرب العالميَة الثانية. وقـــد كان الإمام المسلم المسئول عن هذا المكان مهذبا معي للغاية، وسمح لي بزيارة ورؤية كل ماهو موجود في المكـــان. إلا أن هـــذا الإمام بدأ حديثه معي معلقا في كـــلماته، أن المسيحيين قد تركوا رسالة الإيمان الحقيقيّ التي جاء بها سيدنا ابراهيم أبو المؤمنين، وهي الإيمان بالله الواحـــد! لا إلـــه إلا الله، لا يوجد إله آخر، لهذا يؤذّن المـــؤذن في المسجد كل يوم من أعلى المئذنة منادياً بهذه الكلمات.

أيضاً يحاول المسيحيون مرات عديدة أن يتذكروا ما جاء في العهد القديم، الذي أوحى لنا وحدانية الله؛ أما وحي العهد الجديد يعلن لنا عن الثالوث القدوس، ويبدو لـــنا هذا كأنه تعددية في الطبيعة الإلهيّة الواحدة. وننسى كثيراً عند قراءتنا للعهد الجديد ما قد ذُكِر ونُوّه إليه في العهـــد القـــديم [لا يمكننا أن نقرأ أي جزء من الكتاب المقدس، منفصلاً عن الآخر، لكن علينا أن نقرأه كوحدة واحـــدة يكمـــل كـــل منها الآخر]. لذلك حاول آباء الكنيســـة في شروحاتهم للعهد القديم، موضحين ما جاء

فيه مشيرين للثالوث القدوس الإلهي. وكما ذكرت من قبل أنّ راسمي الأيقونات قد جسدوا وعبّروا عن الصور الثالوثية في العهد القديم، وبصورة خاصة مشهد ابراهيم الذي لم يبخل بأن يقدم ابنه الوحيد ذبيحة لله (تك ٢٢)، واستضـــافة ابراهيم للملائكة الثلاثة (تك ١٨). كذلك يركـــز مفسرو الكتاب المقدس في هذا المجال على إظهار يوسف الذي كان محبوباً من أبيه (تك ٣٩)، والذي تم بـــيعه على يد إخوته في مصر، صار بمعونة العناية الإلهية سبباً في خلاصهم من المجاعة، التي عمت على الجميع في ذلـــك الوقت. إن يوسف هو صورة للابن الإلهي الذي أرســـل للعـــالم من قبل أبيه لخلاصنا. وآباء الكنيسة في شرحهم وتعليقهم على قصة خلق الإنسان، على صيغة الجمـــع في سفر التكوين: "*لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالـــنا*" (تك١/ ٢٦). فمنهم من يعلق على هذه الآية ويقـــول إن الله قد تحاور مع الابن والروح القدس قبل خلـــق الإنســـان، ومـــنهم من يقول: إنه قد تحاور مع الملائكة!

لكن من الأفضل لنا - **في هذا المجال**- ألا نأخذ النصـــوص والمقـــاطع بطريقة منفصلة عن بعضها، لأنه ستواجهنا صعوبة في استخدام هذه المقاطع، مما يجعل من

السهل أن نقع في الخطأ في شرحنا للنصوص الكتابية. فالله ذاته في العهد القديم هو الذي يوحي عن ذاته بأنه الإله الواحد، ولا يوجد جدال على ذلك. هذا الإله الواحد الذي قد أقام علاقة حقيقية مع شعبه كأب مع أبنائه، معتبراً إسرائيل ابنا له. فكيف يمكننا أن ننكر هذا التناقض؟ لأنه غير مجدٍ أن نتصور أن الإنسان بقدرته المحدودة يستطيع أن يصعد ويقترب من الله. ويُظهر لنا العهد القديم هذه الحقيقة الأساسية المطلقة: إله السماء قد نزل وسط شعبه إسرائيل، ومنحه حبه غير المحدود وأقام العهد بينه وبينهم. ولكي نفهم جيداً هذا المضمون، علينا أن نعرف هذه التعبيرات الثلاثة المستخدمة: كلمة الله، وحي الله المصحوب بحكمته الإلهية، إرسال الله لروحه.

- **كلمة الله**: استطاع الله من خلالها أن يتحاور مع شعبه في مختلف العصور، نسميها نحن "**الكتاب المقدس**"، نستطيع من خلال قراءتنا لها أن نكتشف كيف أوحى الله لشعبه عما كان يفكر ويرغب فيه، هذه الكلمات التي خرجت من فمه وقلبه. ونذكر هنا بعض المقاطع التي تساعدنا على فهم هذا بصورة أفضل *"السيد أرسل كلمةً على يعقوب فوقعت على إسرائيل. فرفعنها الشعب كله أفرائيم وسكان*

السامرة" (أش ٩/ ٧- ٨)؛ "فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلصهم من شدائدهم . أرسل كلمته فشفاهم ومن الهوة أنقذ حياتهم" (مز ١٠٧/ ١٩- ٢٠)؛ كذلك مقدمة إنجيل القديس يوحنّا الذّي يلقب باللاّهوتيّ في التقليد الشّرقيّ، وهنا نجد العلاقة القوية بين الله الآب وابنه "**كلمته**" التي تجسدت وحلّت بيننا. كذلك يمكننا أن نطبق هذا العمل الإلهيّ بما يفعله الإنسان، لأنّ الإنسان يفكّر فيما يقول من كلمات في قلبه قبل أن ينطق بها لسانه، ومهما حاول التعبير عمّا يفكّر فيه يبقى جزء من تفكيره لا يستطيع أن يعبر عنه بكلمات، إلا أنه يكتشف هذا الجزء من خلال العلاقة الشخصية. كذلك الله الذي عبّر عن حبّه للبشرية من خلال كلماته المقدسة، وعلينا أن نكتشف حبّه بصورة شخصية من خلال العلاقة الشخصية معه. وللكلمة مفعول قويّ كعنصر أساسيّ في الحياة، فكم بالحري الكلمة الإلهية التي حاول شارحو اللاّهوت الكتابيّ إظهارها على أنها كلمة فعالة حيّة، وعبروا عن كلمة الله على أنها كلمةُ حكمةٍ وحياةُ وروح.

- **الحكمـــة**: بالطريقة السابقة نفسها نوضح المقصود بالحكمة الإلهية. وهي التي يذكرها لنا العهد القديم في مواضـــع مختلفة على أنها آتية من الله كي تصير وســـيطا بـــين الله وخليقته. فنقرأ في سفر الأمثال (أم ٨/ ٢٢-...)؛ أيضاً في كتاب يشوع بن سيراخ (٢٤/١- ١٠)؛ أمـــا كـــتاب الحكمة فيذكر لنا (٣/٨). أما على المستوي البشريّ، المعروف لدى الجمـــيع، يتعـــلم الإنسان حياة الحكمة من خلال تعاملـــه مع مَنْ يتمتعون بهذه الخبرة الحياتية، وبهذا تصـــبح الحكمـــة حياة مشتركة بين الجميع، لأنهم يشتركون في الهدف نفسه.
- **الـــروح**: إذا أمعنا النظر في الكلمة "**روح**" وبصفة خاصة في اللّغات القديمة ولغة الكتاب المقدس بصفة خاصة، فاننا نجد لها العديد من المعاني المختلفة. لكن مـــا هو ملفت للنظر رغم وجود هذه الاختلافات، أن الكـــل يشـــرح المعـــنى نفسه المقصود من هذه الكـــلمة. فمـــثلاً في اللّغـــة العبريّة: تعبّر "**روح**" عن **الريح** وهنا نجد أنفسنا أمام سرٍّ من أسرار الله، لأن الـــريح تتحرك من خلال قوة عارمة، كذلك روح الله يعمـــل فيـــنا بقوّة خلاّقة، وعبّر حزقيال

عن ذلك فقال: *"لذلك هكذا قال السيد الرب: إني أثــير ريحــاً عاصفاً بسخطي ومطراً مدراراً بغضبي وحجــارة بردٍ بسخطي للإفناء"* (١٣/ ١٣)؛ وفي كتاب ملوك الأول يقول: "وفي أثناء ذلك اسودت الســماء بالغيوم وهبت الرياح وجاء مطر عظيم" (١ملو ١٨/ ٤٥)؛ وفي سفر التكوين يقول: *"وجبل الرب الإله الإنسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفساً حية"* (تك ٢/ ٧)، (والمــزمور ١٠٤/ ٢٩- ٣٠)، فمن هنا نعرف أن الــروح يجدّد وجه الأرض، وبهذا يصبح روحُ الله روحَ كــل الخليقة، التي يرف عليها روحه. ونختتم هذه النصوص المذكورة سابقاً بما جاء في الرسالة إلى العبرانيين (١/١٠)، وبهذا يصبح الوحي الثالوثيّ في العهــد الجديد هو كمال الوحي والمعطي الحقيقيّ لــلمعنى ومكمّلــه. لأنّ الكلمة الإلهيّة [أي يسوع المســيح الابن] مع الروح القدس هما في علاقة تامّة مع الله الآب.

العهد الجديد:

يتجلّى مضمون الوحي الأساسيّ للعهد الجديد في إظهار الثالوث القدّوس، وهذا هو الجديد الذي نجده فيه،

كمـــا ركّز يسوع في تعاليمه كثيرا على إظهار الوحدة الثالوثية بينه وبين الآب والروح القدس. بصورة عامة في الأناجـــيل الإزائية[١٧]، وبصفة خاصة إنجيل يوحنا الذي يوضـــح مرات عديدة الحوار مع اليهود في هذا المجال، عندما كان يتحدث معهم يسوع ويوضح علاقته مع الله الآب، فكان ذلك بمثابة عثرة بالنسبة لهم. أنا هو تحمل معنى مزدوجا (يو ٨/ ١٤، ١٣/ ١٩).

أيضـــاً في العهـــد القديم نجد العديد والعديد من الكلمات التي تعلن عن الله، نذكر بعضا منها (خر ١٣/ ١٤). أيضـــاً عندما نقرأ هذه الكلمات، علينا أن نعرف تمام المعرفة أنها لا تقلل من شأن ومكانة ومساواة المسيح لله الآب (يو ١٤/ ١٨)؛ وماذا تعني الكلمة لا "**آخر**"؟. إن علاقتهم مشتركة معاً في كل شيء (يو ١٠/ ١٣)؛ ومـــن رآني فقد رأى الآب (يو ١٤/ ٩). لذلك عندما نطق يسوع المسيح بهذه الكلمات أدانه اليهود بحجّة أنه قـــد ساوى نفسه بالله (يو ١٠/ ٣٣). لنرجع الآن إلى المصطلحات السابقة الثلاثة التي تكلمنا عنها من خلال مـــنطلق العهـــد القديم، لكننا هنا سنرى ماذا تعني هذه

---

١٧ الأناجـــيل الإزائية متى، ومرقس، ولوقا، ويطلق عليها الاسم إزائية، لأنه يوجد العديد والعديد من الآيات والمواضيع المشتركة بينها (١).

الكلمات في مفهوم العهد الجديد وهي: الكلمة، والحكمة، والروح.

- **الكلمة- اللوغُس Logos**، هو تعبير مليء بالمعاني العميقة الجلية، نجد هذا وبصفة خاصة عندما نقرأ مقدمة إنجيل يوحنا، الذي يقدم لنا يسوع على أنه **كلمة الله "Logos"**، التي تجسدت وأخذت جسداً لحمياً (يو ١/ ١- ١٨). ويقدم لنا شارحو ودارسو الكتاب المقدس هذا التفسير الذي يشتمل على فكرتين: **إن كلمة الله، اللوغُس يسوع المسيح الناصري قد ظهر لنا في جسد إنساني، ومن ناحية أخرى، إن يسوع المسيح، اللوغُس الأزلي الأبدي، الكائن مع الله الآب منذ الأزل هو الذي تجسد. لذلك عندما نفكر ونتأمل عملية تجسد المسيح، علينا أن نفكر بهذه الطريقة المزدوجة، غير فاصلين بينهما، لأنهما حقاً غير منفصلَين في جوهرهما.** فإذا قارنا نصوص القديس يوحنا مع نصوص العهد القديم نصل إلى هذه النتيجة، إن نصوص العهد القديم توضح لنا أن الله قد أوحى عن ذاته بواسطة كلماته التي أعلنها للعالم، لكن لم يصل إلى حد القول في إعلان كلماته لشعبه أن يقول إن

هذه الكلمة هي **شخص**. لكن الذين قد التقوا بيسوع المسيح في حياته عرفوه كشخص أزلي متحد اتحاداً إلهياً بالله أبيه وهو ابنه الوحيد.

- **الحكمة**، قد أظهر يسوع المسيح في تعاليمه للشعب وأثناء الحديث مع تلاميذه حكمةَ الأنبياء الذين سبقوه، لذلك استخدم الكثير من الأمثال في تعاليمه، وقد ذكر أيضاً بعضا من أمثال وشخصيات العهد القديم. لكن المدهش الذي نراه هو، أن الذين كانوا يستمعون له ولتعاليمه، لديهم القدرة والبصيرة على اكتشافهم لحقيقة يسوع: إنه أعلى وأعظم من الذين سبقوه، والسبب في ذلك هو أن جميعَ تعاليمه كانت تختتم بعمل المعجزات والشفاء للمرضى (مر ٦/ ٢). حكمته هذه قد اكتشفت منذ صباه (لو ٢/ ٤٠- ٥٢)، وهو ذاته قد أوضح هذه الحكمة عندما ذكر مثل سليمان الحكيم وملكة الجنوب التي جاءت إليه لتتعلم الحكمة، إلا أنه يقول يوجد من هو أعظم من سليمان في حكمته (مت ١٢/ ٢٤). وقد أعلن يسوع المسيح عن نفسه أنه هو الحكمة الإلهية التي قد ذكرها العهد القديم، (مت ١١/ ٢٨..، سيراخ ٢٤/ ١٩)، (يو ٦/ ٣٥،

٤/ ١٤، ٧/ ٣٧، أش ٥٥/ ١..؛ باروك ٩/ ١- ٦، سـيراخ ٢٤/ ١٩- ٢٢). لقد اكتشف الرسل الأولون أن يسوع المسيح هو حكمة الله الآب (١ كـور ١/ ٢٤- ٣٠)، ولم يـأتِ اكتشافهم هذا نتـيجةً لمعاملة يسوع وعلاقته مع الناس، وإنما لأنه هو ذاته الحكمة الأزلية الكائنة في حضن الآب.

- **الـروح**، نؤمن جميعاً أن الروح القدس منبثق من الآب والابن، وهذا ما أشار إليه يسوع في تعاليمه، بل بالأكثر عندما حل الروح وظهر في شكل حمامة لحظـة عمـاد يسوع، كذلك عندما قال يسوع المسـيح لتلامـيذه سأرسل لكم الروح ليرشدكم (لو ٢٤/ ٤٠، أع ١/ ٤- ٨). أما بالنسبة للقديس بولس فالحياة في المسيح تعنى الحياة في الروح القدس (روم ١٥/ ١٨ -١٩). ومـن هنا نكتشف اتحاد المسـيح الكامل بالروح القدس، أي روح الله، هذا الاتحـاد يفوق اتحاد أنبياء العهد القديم بالله بمراحل عديدة، لأن اتحاد الأنبياءَ حتى وإن كان اتحاداً قوياً إلا إنـه توجـد مسافة بينهم وبين الله، أما المسيح والروح القدس فهما متحدان معاً وبالله الآب اتحاداً جوهرياً وثيقاً ولا توجد مسافات بينهم.

يمكننا أن نختتم حديثنا هذا بالقول: إن العهد الجديد قد أكمل وأوحى لنا الثالوث القدوس الإلهي، على أنه التعليم الأساسي المسيحي وعلينا أن نؤمن بهذا التعليم. لأنه من خلال نور هذا الوحي يستطيع المؤمنون أن يعتبروا أنفسهم أيضاً أبناء لله الآب السمائي، مع يسوع المسيح في الروح القدس. لذلك قد أُطْلِقَ على سفر أعمال الرسل اسم "**سفر الروح القدس**"، لأنه يحكي لنا قصة حلوله على الرسل ودوره الواضح في تأسيس الكنيسة الأولى، والمواهب المختلفة التي منحها لكل تلميذ من تلاميذ المسيح (أع ٢/ ١- ٤، ١٠/ ٤٤ - ٤٦، ١١/ ١٥- ١٧، ٢٨). وهو الذي أُرسل من المسيح كي يوحّد كل من يؤمن بالمسيح مع الله الآب. وتحدث القديس بولس أيضاً عن هذا الموضوع بطريقة أعمق في إحدى رسائلة (غلا ٤/ ٤- ٦). لقد بدأ المسيحيون استخدامهم للشكل الثالوثي بوعي وإدراك على أنه هو، كل خير يأتي إلينا من الله يكون مصدره الأشخاص الإلهية الثلاثة [الآب والابن، والروح القدس] (١كو ١٢/ ٤- ٦). كذلك أيضاً نجد هذا في رسالة القديس بطرس الأولى (١بط ١/ ٢).

مشاكل الكنيسة الأولى:

يقـــول القديس **باسيليوس**[18] وآخرون: "**إن سرّ العمـــاد هو باسم الآب، الابن والروح القدس**". وقد كان المسيحيون الأوائل يعيشون هذا الوحي الثالوثي لهذا السر المقدس في حياتهم وأعمالهم اليومية، بدون مناقشات جدلـــية غير بنّاءة، إنما بإيمان لا مثيل له في حياتهم. لكن مـــع مـــرور الزمن أصبح من الصعب إقناع بعضُ ممن يعيشون في مناطق وحضارات مختلفة بهذا الإيمان الفّعال، أن يحـــيوا هذا الإيمان في حياتهم وأعمالهم. ومن ناحية أخرى نجد في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث كثيراً من الذيـــن يعيشـــون في الحضارة والثقافة اليونانية يصيرون مســـيحيين بقـــبولهم الإيمـــان، وهؤلاء قد قبلوا الوحي الإنجيلي على أنه كلمة الله مكتوبة بلغة بشرية، ولا يمكننا

---

١٨ **القديـــس باسيليوس** ولد في عام ٣٢٩ من أشهر آباء الكنيسة اليونانيّة. نشـــأ في أســـرة مســـيحيّة ودرس في القسطنطينيّة ثمّ في أثينة.ونزولاً عن رغبة شـــقيقته مكرينا، تخلّى عن تدريس البلاغة في القيصريّة وأنشأ ديراً. سيم كاهناً في عـــام ٣٦٢ وأُقـــيم أســـقفاً في القيصيريّة في ٣٧٠، فكان له دور حاسم في كنيســـة قبّدونـــية. شـــارك شقيقه غريغوريوس النيصي وصديقه غريغوريوس الـــنازيانزي في مكافحة أفكار فالَنس الأريوسيّة وأعاد التعليم القويم في الشرق، فمهّـــد بذلك لمجمع القسطنطينيّة. من أهم مؤلّفاته: "في ستّة أيّام" و "في الروح القدس" و "قوانين نُسكيّة" و "أخلاقيات" (١).

تجاهل العنصر الأساسي الذي ساعد في ذلك هو العامل والثقافة الفلسفية التي كانت تتمتع بها هذه الشعوب.

تبدأ الافتتاحية الروحية لإنجيل القديس يوحنا **بالكلمة- لوغُس** الله التي قد حلت العالم. مما جعل المفكرين الوثنيين يقولون الشيء نفسه تقريباً، لأنهم كانوا يعتقدون بأن كلمة الله تأتي للعالم لتعمل فيه، لكن فهمهم لكلمة الله ومحتواها يختلف تماماً عما نؤمن به كمسيحيين. لأن الله في الفكر الفلسفي كان يعبر عنه على أنه الكائن الأعلى، والأساس لكل ما هو موجود في العالم، وبالرغم من ذلك كان من الصعب جداً بل لا يمكن تشبيهه بما هو مادي موجود في العالم. مما جعل هؤلاء يقعون في البدعة القائلة إن المسيح هو بمثابة الإله الثاني [**أي غير مساوٍ لله الآب**]، وهذا يختلف تماماً في منطوقه ومحتواه عما ذكره القديس بولس قائلاً: "*هو صورة الله الذي لا يرى وبكر كل خليقة*" (قو ١/ ١٥)، فهذا المشبَّه يبدو لنا على أنه في درجة أدنى من المشبَّه به. لذلك يأخذ "**الوسط**" بين الله والبشر، ليس إلها حقيقيا وليس هو في درجة الإنسان، هكذا حاول الأولون الحفاظ على الإيمان معتقدين بفكرهم هذا أنهم يؤمنون حقاً بالإله الواحد،

حتى إنهم عبَّروا عن ذلك بالقول "**يوجد إله واحد حقيقيّ، أما المسيح فهو الإله الثاني اللوغُس**".

لقد كان في ذلك الوقت مجموعة من الذين أرادوا أن يجدوا حلاً لهذه المشكلة "**مشكلة الأشخاص الثلاثة الإلهية**" بأسلوب طيب النية برئ، مما أدى ذلك إلى ميلاد بدعة أخرى جديدة بجانب البدعة السابقة، وهي التي أرادت أن تجد حلاً وسطاً للمشكلة. وعبَّروا عن رؤيتهم بهذا التعبير؛ **أن الله الآب، والابن والروح القدس، أسماء مختلفة لذات الإله الواحد**. هذا في الحقيقة يعني أنه لا توجد مسافة ولا اختلاف بين الله الآب والابن يسوع المسيح، مما جعل **صابليوس**[١٩] **Sabellio** وأتباعه يعلمون بهذه الآراء، مركزين على أن العناية الإلهية قد حلت في العالم لخلاصنا، مما جعلهم يقولون: "**إن ابن الله قد مات على الصليب كي يخلصنا، ويمكننا أيضاً أن نقول الشئ نفسه على الله الآب**"

---

١٩ صابليوس **Sabellio** هرطوقي من القرن الثالث، وصاحب بدعة نشر مذهبه في روما في حوالي ٢١٥، فحرمه البابا الرومانيّ كلّستُس الأوّل Callisto. لم يصل إلينا أيّ كتاب منه ولا يُعرف تعليمه معرفة حسنة، لكنّه يُعدّ أبا الشكليّة القائلة بأنّ في الله أقنوماً واحد وأنّ الآب يسمَّى ابناً، بصفته تجسَّد (٢).

هـــذا بعض من أخطاء الماضي، لكن لا يمكننا أن نعتـــبرها الأســـباب الأساسية للانفصال. لأنه في الزمن الحديـــث المعاصر هناك من استطاعوا الوصول، واعتبروا اخـــتلاف الطوائـــف ليس اختلافاً في مضمون ومفهوم الإيمان، إنما اختلاف في فهم مضمون ومحتوى الكلمات والمصـــطلحات المســـتخدمة في التعبير عن هذا الإيمان. لذلـــك يجـــب على كل المسيحيين في ذلك الوقت أن يـــنظروا للمسيح على أنه مختلف تماماً عن باقي مؤسّسي الديانات الأخرى، وأن يقتسموا هذا الإيمان فيما بينهم وهـــو إلـــه حـــق من إله حق، الوسيط الوحيد بين الله والإنسان. هذا الاتحاد الإيماني لم يكن سهلاً معايشته اليوم **[المقصود هنا من يعيشون في القرن الرابع بعد الميلاد]**: أي أن يفكر الإنسان في طبيعة المسيح الإلهية وهو يعيش في القرن الرابع بعد الميلاد، تشغله أشياء أُخرُ كثيرة.

المجامع الكبرى الأولى:

مـــن الواضح جداً أنه في بداية نشأة المسيحية في القرون الأولى، لم يكن سهلاً الرد على جميع الآراء التي كانـــت تحمـــل في طياتها البدع المضادة للإيمان، إلا أنه حاول المجتهدون والمتبحرون في اللاهوت الرد والتصدي عـــلى هذه البدع بقدر المستطاع، حتى لا تنتشر وتضلل

المؤمنين عن الإيمان الصحيح. أذكر هنا واحداً من الآباء ولاهوتـيا عظـيما في القـرون المسيحية الأولى وهو **أوريجينس**[٢٠] **Origene**، الـذي نجد في شروحاته الدليل الكافي على إيمانه المستقيم بالنسبة لإلوهية المسيح عـلى أنه **الكلمة الإلهية**، أو على أنه **إنسان**، حتى وإن وجدنا بعضا من كتاباته تشير إلى المسيح في منزلة أقل من الله الآب لكنها قليلة جداً.

لقد كان يعمل مدرساً في مدرسة **الإسكندرية – مصـر**، والذي تبعه بعد ذلك الكاهن **آريوس** صاحب بدعة أن المسيح إنسان مخلوق به طبيعة بشرية فقط، ولا توجـد بـه طبيعة إلهية، منطلقاً في تعاليمه وحججه في الشرح والتفسير من كتاب الأمثال الذي يوضح الحكمة الإلهـية، *"الرب خلقني أولى طرقه قبل أعماله منذ البدء"*

---

٢٠ **أوريجينس** ولـد في مصـر في حوالي ١٨٥. وُضع على رأس مدرسة الموعوظين في الإسكندرية في حوالي ٢٠٣، فانصرف إذ ذاك إلى البحث العلميّ في الكتاب المقدّس والتعليم المسيحيّ العالي. مارس نشاطه في الإسكندريّة حتّى حوالي ٢٣٠، ثمّ واصله في قيصريّة فلسطين. توفّي في حوالي ٢٥٣. من مؤلّفاته "شروح" وسلسلة "مواعظ" في الكتاب المقدّس، وكتاب في النقد النصيّ للعهد القـديم ("السُداسيّ") وملخّص فلسفيّ ولاهوتيّ ("في المبادئ") وقَض للكاتب الوثـنيّ سَلسُس ("الردّ على سلسُس"). كان أوريجينس رائداً ممتازاً في أكثر من حقل (تفسير ولاهوت نظريّ ولاهوت صوفيّ). يُعدّ عمله من أشدّ الأعمال وقعاً على تفكير آباء الكنيسة الشرقيّين والغربيّين. ويعد علامة مدرسة الإسكندريّة.

(أم ٨/٢٢). ويشــرح ذلــك قائلاً "بما أن المسيح هو حكمة الله، إذا فهو مخلوق، بل أول الخليقة، الوسيط بــين الله والناس، لكنه ليس أزليا ولا يُعتَبر كلمةَ الله "اللوغُس" وليس أكثر من ذلك". وعلاوة على ذلك يشـــرح آريوس: إذا كان الكلمة قد تجسدَ فهذا يجعل من المستحيل أن نحد الله داخل ما هو مادي [المقصود هـــنا الجسد البشري الذي اتخذه يسوع المسيح عندما تجسد من العذراء مريم بقوة الروح القدس] ولا حتى على المستوى الروحي، فالمسيح الذي تجسد ليس هو الإله الحقيقي".

أنتشـــرت تعالـــيم آريوس تنتشر بين المسيحيين بطـــريقة واسعة، حتى إنها باتت تمثل خطراً شديداً على الإيمان، لكن بمجرد صدور الفرمان للإمبراطور قسطنطين الـــذي سمح بحرية العباده واعتبر المسيحية الدين الرسمي للإمـــبراطورية، وقد دعا الإمبراطور قسطنطين لانعقاد مجمـــع **نيقيا** سنة ٣٢٥، الذي من خلاله وضعت أسس الإيمان المسيحي المستقيم. كانت نتيجة هذا المجمع أدانة **آريـــوس** بالحـــرمان الذي أنكر الوهية المسيح، وبدأت الكنيسة من ذلك الحين في صياغة الإيمان بكلمات، وهو

مـــا يعرف لدينا الآن باسم "**قانون الإيمان**" الذي نردده كتعـــبير عما نؤمن به، ويحتوي على العبارات التي تحدد طبـــيعة المسيح الإلهية "**مساوياً للآب في الجوهر**". هذا المصـــطلح ليس ماخوذاً من الكتاب المقدس، إنما ماخوذ من الفلسفة التي تعبر عما ما هو مادي، لكنه متحد اتحاداً كـــاملاً في طبيعـــتة. كذلك في المسيحية استخدم هذا المصطلح كدليل على الاتحاد الكامل التام بين الله الآب، والابن في الطبيعة الالهية، ولذلك نقول بحق: إن المسيح إله حق من إله حق.

بهـــذا التوضيح العقائدي الهام الذي وضعه مجمع نيقيا، قد حدد جزءا عقائديا هاما جداً بخصوص الإيمان المســـيحي لكل المسيحيين منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هـــذا. لأنـــه في عصرنا الحديث نتذكر ما قد مضى من أحداث خاصة بالإيمان، مع محاولة التمسك بها وبمبادئها، فمثلاً عندما دعت الكنيسة لعقد مجامع مسكونية مسيحية في **أمستردام– هولندا**، تم الاتفاق على أن تعتبر كنيسة مسيحية بحق هي كل كنيسة تؤمن بل وتضع المسيح في كامل إلوهيته. وهنا يمكننا ملاحظة هذا الإيمان المشترك على مر العصور وبين مختلف الطوائف المسيحية، والذي

نعتـــبره الآن الـــنقطة الجوهرية في إيمان كل المسيحيين بمختلف مذاهبهم.

لم تنـــتهِ المشكلة بعد التوصل لهذه النتيجة التي قد وضـــعها المجمع، وذلك لأن أتباع آريوس كان لهمِ نفوذ كـــبير في الإمـــبراطورية الرومانـــية، وأيضاً من خلال الأســـاقفة الـــتابعين لهم والمنتمين لآريوس، **مما جعلهم** يبحثون كي يتوصلوا إلى حجج واهية تكمن في اللعب بالألفاظ والكلمات، التي يستخدمونها في شرح فكرهم، وهذا أيضاً لم يأتِ بنتيجة لصالحهم، لأنه حتى وإذا كان اختلاف الكلمات المعبرة عن الإيمان نفسه لا يؤدي إلى خلـــق مشـــكلة، لكن تكمن المشكلة في نكران الإيمان بقولهم: "**إن ابن الله غير مساوٍ لله الآب، لكنه يشبهه**". في الـــنهاية، خلال نكرانهم لطبيعة المسيح الإلهية تعرضوا لنكران طبيعة الروح القدس الإلهية، أيضاً اعتبروه مخلوقاً. فكـــان بعـــد ذلك نتيجة هذه المجادلات الإيمانية، حكم الإمـــبراطور على أصحاب هذه البدع بالنفي لهم ولمن يتبعون تعاليمهم من الأساقفة.

وهنا لا يمكننا أن نغفل الدور العظيم الذي قام به القديس **أثناسيوس الإسكندري، والمعروف باسم حامي الإيمان والمدافع عن إلوهية المسيح**، مما جعل الإمبراطور

التابع لأصحاب هذه البدع في ذلك الوقت، يحكم عليه بالعزلة والنفي مع بعض الأساقفة الذين دافعوا عن الإيمان وتصدوا لمواجهة التعاليم المضللة. إلا أنه في الوقت ذاته نجد ظهور بعض الآباء، وهم المعروفون باسم **"الآباء القبّدقيين"**[21] في آسيا الصغرى وهم: **القديس باسليوس الكبير، وأخوه القديس غريغريوس النيصي، وصديقه الحميم من وقت الدراسة القديس غريغريوس النازيتري**[22] **والمعروف باللاهوتي.** فقد شعروا هؤلاء في ذلك الحين بضرورة توضيح وتحديد الألفاظ المستخدمة في شرح هذه العقيدة. فمثلاً اللفظ **"جوهر أو طبيعة" Ousia**، يوضّح تماماً قوة الاتحاد بين الأشخاص الإلهية

---

٢١ إسم أُطلق على أربعة أساقفة عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع، وكانوا قبّدوقيّي الأصل، مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً. هم القدّيس باسيليوس القيصريّ، وشقيقه القدّيس غريغوريوس النيصي، وصديقه القدّيس غريغوريوس النازيتري، والقدّيس أمفيلوكس الايقونيّ وهو أقلّ شهرة (١).

٢٢ **غريغوريوس النّازيتري وُلد** في قبّدوقي في حوالى ٣٢٩. وكان صديق القدّيس باسيليوس وزميله في الدراسة، ولقد رافقه في اختباراته الأولى للحياة النسكيّة. دعاه باسيليوس إلى كرسيّ سازيمس الأسقفيّ، وأصبح في وقت لاحق أسقف القسطنطينيّة (٣٧٩). إستقال من هذا المنصب في أثناء مجمع ٣٨١ وقضى سنيه الأخيرة في الاختلاء. أعماله أعمال أديب ولاهوتيّ، وقد تأثّر كثيراً بأوريجينس. قاوم الأريوسيّة والأوليناريّة وأسهم في إعداد لاهوت الثالوث والتجسّد. خطبه اللاهوتيّة مشهورة، وترك أيضاً أعمالاً رسائليّة وشعريّة. بقي تأثيره ثابتاً في الشرق حيث لُقّب باللاهوتيّ (١).

الثلاثة، لذلك يتوجب علينا التوصل لمعرفة مصطلح آخر يوضح صفات الأشخاص الإلهية الثلاثة وهو **Hypostasis**، فبعد ذلك التوضيح تم التوصل لاستخدام الكلمات المعبرة عن الإيمان المسيحي بهذه الطريقة: نؤمن بإله واحد في جوهره الإلهي، والموجود في ثلاثة أشخاص. واعتُبرت هذه الصيغة الإيمانية هي الصحيحة والمشتركة بين جميع المؤمنين على مر القرون المختلفة.

لقد أعلن **الأباء القبّدوقيون** مع القديس أثناسيوس الإسكندري بصوت جهوريٍّ دفاعهم عن العقيدة الإيمانية المستقيمة عن طبيعة المسيح الإلهية، وأيضاً عن طبيعة الروح القدس الإلهية. نجد أيضاً في التعليق الشهير للقديس باسليوس الكبير عن الروح القدس، والذي كان يستخدمه كمدعم أساسي للإيمان المسيحي بصفة خاصة في منح سر العماد، لمن يرغب في قبول الإيمان المسيحي. فكان يعمد الشخص المتقدم بالصيغية الثالوثية حيث يركز على إظهار الأشخاص الثلاثة الإلهية مجتمعين معاً "أعمدك باسم الآب، والابن، والروح القدس" **[مازال حتى يومنا هذا تستخدم هذه الصيغة في سر العماد]**، لأنه هكذا يتمجد الآب من خلال الابن في الروح القدس.

كذلك يستخدم القديس **غريغوريوس النَّازيتري** الصيغة السابقة نفسها في تعبيره عن الإيمان الثالوثي، في شرحه وتفسيره لسر الثالوث القدوس، وبصفة خاصة لما يـتعلق بحقيقة الروح القدس الإلهية. ومن المدهش لنا أن نجـد كـل هذه التعاليم قد أخذت صفتها الرسمية بعد انعقـاد مجمـع القسطنطينية في عام ٣٨١، والذي بدأ لقاءاتـه الأولى عـلى أنه لقاء خاص بالكنيسة الشرقية وحدهـا، إلا أنـه تم الاعتراف به من خلال الكنيسة الجامعـة، وأطلق علية اسم – "**مجمع مسكوني**" معترف به وبما جاء فيه من تعاليم عقائدية. وقد تم تثبيت العقيدة في مجمع نيقيا، والذي كان موضوعه ينصب خاصة على إلوهـية المسيح، وأيضاً من خلاله تمت الإضافة الخاصة بالـروح القدس، والتي جاءت مؤخراً وثبتت في مجمع خلقدونـيا عـام ٤٥١، والتي صاغت هذه الكلمات: "**نؤمـن بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب والابن الناطق بالأنبياء**".

إن الألفـاظ المستخدمة هذه المرة قد أُخِذَتْ من الفلسفة، مع تعضيدها بألفاظ كتابية، والمثل: ذلك أطلق على الروح القدس لفظ "**الرب**"، والذي نجده في اللغة اليونانـية بـنفس المعـني "**الرب**" **Kyrios**، ولقد تم

استخدام هذا المصطلح في الترجمة اليونانية للكتاب المقدس عوضاً عن اللفظ **يهوه Jhwh** أي الله معطي ومانح الحياة بقوة الروح القدس في الابن، لذلك نستطيع حقاً أن نمجدهم ونعطيهم كل كرامة إلهية في كنيستنا.

لذلك يتسائل المؤمنون الكاثوليك اليوم، لماذا يوجد البعض ممن لم يقبلوا انبثاق الروح القدس من الآب والابن حتى اليوم؟ بل تتخذها بعض الكنائس وبصفة خاصة الكنيسة الأرثوذكسية على أنها مشكلة الخلاف الرئيسة في معضلة انبثاق الابن، وهى التي قد أضيفت مؤخراً. مستندين في كلامهم على ما جاء في إنجيل القديس يوحنا: "*ومتى جاء المؤيد الذي أرسله إليكم من لدن الآب فهو يشهد لي*" (يو ١٥/ ٢٦). نجد أيضاً الحقيقة الإيمانية الهامة التي أُعلنت ووضعت في مجمع القسطنطنية، التي تخص وتؤكد إلوهية الروح القدس كمنبثق من الآب. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول: **إن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً، لأننا إذا نؤمن ونقول إن كل الأشياء قد خلقت بواسطة الابن، فيجب علينا أن نؤمن بهذا الانبثاق من الآب والابن.** وبالرغم من أهمية هذه المعضلة الإيمانية إلا أنه لم يهتم

الآبـــاء بها منذ القدم، لكنه بدأ أخذها في تدعيم الحقائق الإيمانية في وقت متأخر عن حقبة الآباء.

فعـــندما نقـــرأ ما جاء في هذه الحقبة من الزمن، فنجد المعنى المقصود من استخدامهم للمصطلحات المعبرة عـــن الحقيقة الإيمانية، مقتصراً على المعنى الحرفي الضيق، نظراً للصعوبة الموجودة في استخدام الألفاظ المعبرة، والتي إذا نظرنا لها بعين ومفهوم اليوم، نعتقد أنه بعيد كل البعد عمـــا نؤمن به، وغير مُجْدٍ بالنسبة لنا ولحياتنا الروحية اليوم، لكنه في الحقيقة كان مناسباً تماماً، ولا نستطيع أن نـــنكر ذلك بالنسبة لتلك الفترة الزمنية التي كان الآباء يعيشـــون فيها. إنما مفهومنا المسيحي الإيماني لا يتوقف عـــلى المـــنطق اللفظي الذي يستخدم الكلمات فقط، والـــذي يتعذر فهمه في كثير من الأحيان، بسبب عدم فهمنا أو وحدتنا في استخدام لغة واحدة تعبر عن إيماننا. إنما المسيحية ليست دينا يؤمن بوجود الله فقط، إنما دين يؤمـــن بالله، الذي اتخذ صورة إنسان من خلال تجسده ومـــيلاده، وبهذا الفعل منح الإنسان قداسته الإلهيه **[أي صـــار إنساناً كي يصير الإنسان إلهاً القديس إيريناوس أسقف ليون]**. وبهذه المنطقية لا نستطيع أن نفكر في أن نقلل من شأن يسوع المسيح ولا الروح القدس على أنهما

الأقنومان الثاني والثالث من أقانيم الثالوث القدوس، بل علينا أن نعتبرهما العامل الأساسي لحياتنا الروحية المسيحية اليوم، متخذين آباء الكنيسة مثلاً وقدوة لنا في هذا المجال التكريمي في عبادتنا وصلواتنا التي نوجهها لهما.

شروحات القديس أُوغسطينُس[٢٣]

إن آبـــاء الكنيســـة في نقاشهم الخاص بالثالوث، وضعوا نُصب أعينهم وعقلهم، أن هذا السر هو سر لا يمكن الوصول لمعرفته معرفة تامة، ولا يمكن لنا أن ندركه تمـــام الإدارك بعقلـــنا البشـــري، لأن إمكانياتنا العقلية محـــدودة. لذلك أصبح تعلِيق القديس أوغسطينُس هو التعلـــيق الشـــائع، المعبر عن عظمة هذا السر الإلهي غير المحـــدود، عـــندما لم يتوصل بتفكيره العقلي إلى المعرفته

---

٢٣ **أوغسطينُس** أشهر آباء الكنيسة اللاتينيّة (٣٥٤- ٤٣٠). وُلد في تاغاستا في أفريقيا. قضى شباباً عاصفاً، ثمّ علّم الخطابة في تاغاستا في قرطاجة. اعتنق المذهب المانوي مبتعداً عن الإيمان المسيحيّ رغم سهر والدته القديسة مونيكا، ولكنّه عاد إلى المسيحيّة بتأثير من القدّيس أمبروسيوس في أثناء إقامته في ميلانو، إيطاليا. عمّده أسقف ميلنو في ٣٨٧ وسيم كاهناً في هيبون في ٣٩١ وأصبح أسقف هذه المدينة في ٣٩٢. حارب مذاهب المانويّين والدناطيّين والبلاجيّين، وأنشأ جماعة متوحّدين. ألّف الكثير من الكتب في اللاهوت. لكنّ نظريّته في القَدَر أثارت مناظرات طويلة. مات في ٤٣٠ في مدينة هيبون يحاصرها الونْداليون. أهمّ مؤلّفاته: "مناجيات النفس"و"مدينة الله" (٤١٣- ٤٢٦) و "الاعترافات"و"في الثالوث" (٣٩٨- ٤١٦) و "الطبيعة والنعمة" (٤١٥) إلخ (١).

الكامنة لهذا السر. لقد رأى في أحد الأيام ملاكاً في شكل طفل يملأ الماء من البحر داخل حفرة صغيرة، وعندما سأله القديس قال له **ماذا تفعل؟ فرد عليه أريد أن أضع هذا** الماء **[أي ماء البحر]** داخل هذه الحفرة مما أدهش القديس من هذا الرد. فكانت نتيجة هذا الحدث أن القديس أدرك جيداً أنه لا يمكن لنا أن نحد الله وطبيعته الإلهيه غير المحدودة، داخل وحسب مفهومنا العقلي البشري المحدود.

من ناحية أخرى، لقد كان القديس أوغسطينُس من أول مَن استطاعوا أن يشرحوا معضلة الثالوث الإيمانية، وتم التعمق والدراسة في الغرب لما قد ذكر من كتابات القديس وغيره تقريباً من نحو عام ٤٢٢ وحتى العصور الوسطى. الذي فيه تم التعرف على كتابات القديس اللاهوتية الخاصة بهذا الموضوع، والتي اعتبرها الكنيسة التعليم الرسمي لها في شرح معضلة الثالوث.

يقول أيضاً آباء الكنيسة: "**نعرف أن الله موجود، لكننا لا نعرف حقيقة وماهية وجوده كاملةً**". بهذه العبارة استطاع القديس باسليوس الرد على التابعين لمذهب وتعاليم آريوس المضادة للتعاليم الكنيسية الصحيحة في ذاك الوقت. حتى إنهم عبروا عن ذلك

بالقول السابق، معتبرين أن قمة معرفة الإنسان لله تتجلى في الإنسان الشخص، لأنه مخلوق على صورة الله ومثاله. هذه الصورة قد رسمها الله نفسه في خلقه للإنسان، لذلك علينا أن نكتشف هذه الصورة الإلهية في كل إنسان نتلاقى به في يومنا، واضعين نصب أعيننا أنه مخلوق على صورة الله ومثاله، كما يذكره لنا الكتاب المقدس: "*وقال الله: "لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على أسماك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وجميع الحيوانات التي تدب على الأرض*" و "*فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم*" (تك ١/ ٢٦- ٢٧). لقد حاول العديد من آباء الكنيسة مرات عديدة، الوصول إلى معرفة هذه الكلمات، لكنهم جميعاً تقريباً توصلوا إلى نهاية متشابهة وهي: "**نستطيع أن نكتشف صورة الله في الإنسان، لذلك علينا أن نمعن وندقق النظر في الإنسان ذاته، حتى نستطيع أن نفهم شيئاً من سر الله ونعرفه**". هذا قد دفع القديس باسليوس أن يقول: "**تنتابني الدهشة يا إلهي في معرفتك عندما أنظر متأمّلاً إلى ذاتي**". شارحاً كلامه هذا بقوله إن العقل يستطيع أن يفهم ويشرح كل الأمور المحيطة بنا، كذلك أنعم الله علينا بمعرفة كلماتة

الإلهية بوعي غير محدود. كذلك نجد أنه يذكر عن آباء الكنيســـة في العصـــور القديمة قد سموا بالمهيمنين على الكـــون، وذلك نتيجة قوة تأملهم في الكون والطبيعة، والـــتي من خلالها استطاعوا حقاً أن يكتشفوا وجود الله المثلث الأقانيم.

يربط القديس أوغسطينُس **العلاقة الباطنية للثالوث القـــدوس، بحـــياة الإنســـان الداخلية** موضحاً إياها بشروحاته الكثيرة التي تخص هذا الموضوع، ومشبها إياها في **الذاكرة، والعقل، والإرادة**. وهنا يبين الاختلافات الموجودة داخل الإنسان لكنها متحدة في روحها، كذلك حياة الثالوث القدوس، ثلاثة أشخاص لكنهم متحدون اتحـــاداً سرمديا أزليا، حتى وإن كان لكل شخص منهم دوره الخاص. أيضاً عندما يتحدث القديس أوغسطينُس عـــن الذاكرة، لا يقصد بها تذكر الأشياء أو الأحداث القريبة التي مرت علينا، لكنه يقصد الأشياء الأساسية التي من خلالها تشكلت حياتنا. وبلغة العصر الحديث يمكننا أن نطلـــق على ذلك اسم "**الإنسان كما هو في اللحظة الحاضـــرة**". لذلك نستطيع أن نعتبر أن أساس الذاكرة الموجودة بالإنسان، أنها صورة الله الآب في الإنسان. الله الـــذي هو منبع التفكير في كلماته الباطنية لنا، والتي من

خلالهـــا نـــتحدث ونتحاور مع ذواتنا متأملين إياها في حياتنا. لأنه بمثل هذا قد خرج الابن من الله الآب. فبهذه الطـــريقة نجد عملاً جديداً للنفس داخل الإنسان، لأن الإنسان يحب أفكاره التي يخلقها من خلال اتساع آفاقه الفكرية، ولا نستطيع أن نجعله ينفصل ولا يتخلى عنها مهمـــا كانـــت الظروف. أيضاً فعْلُ الحب الذي نختاره بـــتفكير جاد عاملين على تحقيقه يصبح عمل الإرادة في حياتـــنا. أمـــا الخاصية الثالثة للنفس فهي التي يمكننا أن نعتبرها صورة الروح القدس الموجودة بداخلنا وهي **روح المحبة**. ولأن حياتنا الباطنية تظهر من خلال الاستمرارية والتواصل فيما نعرفه، وحياتنا الفعلية التي نحياها في المحبة حـــتى لا تصبح على المستوى النظري فقط، بل تكون مصطبغة بالجانب العملي وهو الأهم. ويعتبرها القديس أوغسطينُس المحرك الأساسي الآتي من الله المثلث الأقانيم للإنسان في حياته.

يختـــتم القديس أوغسطينُس شرحه بهذه الصلاة، **"كـــم أنـــت عظيم يا الله الواحد المثلث الأقانيم، لا يكفـــيني أن أحدّك بكلمات ينطق بها لساني، بل هبني الكلمات المصحوبة بنورك غير المتناهي، حتى أستطيع أن أعرفك بدون مسببات. أنت الذي بك كل الأشياء**

والمخلوقات، ولا نستطيع أن نقول عنك كلمة واحدة فقط، نمجدك ونعظمك إلى الأبد، زد اتحادنا بك حتى نصير منك وتصير منا كشيء واحد. يا الله الواحد الثالوث كل ما قد ذكرته عنك آتٍ منك، وإذا قد قلت شيئا من عندي فاغفر لي. آمين".

لاهوتيّو العصر الوسيط:

لقد رجع القديس **توما الأكوينيّ**[٢٤] إلى ما قد ذكره القديس أوغسطينُس في هذا المجال. والتي فيها نقطة الانطلاق هو الله ذاته، وليس الإنسان، ويعلق على ذلك بفضل ما تعلمه من فلسفة أرسطو، التي تعتبر أن الله هو **الأساس في كل شئ [هنا لا يشير إلى الله كما نعرفه نحن اليوم كمسيحيين، لكنه يشير إلى المبدأ والعلة الأساسية لوجود الأشياء، لذلك نطلق عليها الله من خلال إيماننا المسيحي]**. لأنه من خلال ملاحظتنا لما يدور حولنا في العالم نستطيع أن نستنتج، **أن كل ما هو**

---

٢٤ **توما الأكوينيّ** (١٢٢٥ - ١٢٧٤). راهب دومينيكانيّ وُلد في إيطاليا وعلّم في جامعة باريس. من معلّمي الكنيسة وحججها في اللاهوت والفلسفة المدرسيّة. اطّلع على آراء ابن سينا والغزالي وابن رشد عن طريق الترجمات اللاتينيّة وانتقدها. من مؤلفاته العديدة "الخلاصة اللاهوتيّة" و "خلاصة الردّ على الأمم" (١).

متحرك هو موجود. وكل شيء يعتمد في وجوده وحركته على شيء أو مصدر آخر.

هذه الفكرة والمنهجية قد أخذها القديس توما من الفكر الأرسطي [**نسبة إلى مذهب أرسطو الفلسفي**]، ثم أضاف عليها فكره الشخصي، ما يخدم موضوعة حتى تصل الفكرة واضحة للآخرين. لذلك عمل القديس توما جاهداً حتى يصل لمعرفة كيفية استخدام التشبيه، بأن الله هو "**الأساس والفعل الحر**" لكل الأشياء وفي جميع المجالات. لا نبرهن على وجوده من خلال العالم و الخليقة والطبيعة المحيطة بنا فقط، لأن وجودية الله موجودة قبل كل الأشياء والمخلوقات، وجوديته وجودية فعّاله حركية غير متوقفة نشيطة في حياته الباطنية. فكيف يمكننا أن نتصور هذا؟ لا توجد طريقة صحيحة نستطيع من خلالها أن نشرح هذه الوجودية سوى طريقة تشبيهها بنشاط وعمل روح الإنسان الباطنية. لأن داخل كل منا حياتة الباطنية النشيطة، ونسمع بل ونعرف جميعنا صحة هذه المقولة: "**موجدون لأننا نفكر ونريد العديد والعديد من الأشياء التي نريد أن نفعلها**"، لأننا بهذه الطريقة نرد حقاً عما يجول بداخلنا من أفكار دالة على وجودنا. لأن من لايفكر لا يوجد، كما يقول

بعـــض الفلاسفة، مطبقين هذا التشبيه على الله الآب في علاقته الداخلية مع ذاتة [**أي مع الابن والروح القدس**].

لذلك نجد القديس توما الأكويني يضع في اعتباره هـــذا الشـــرح، على أنه يحتمل المعنى المزدوج ويشبههم بـــ"**العقل والإرادة**" لأنهما ملَكتان يتحلى بهما الإنسان. وهـــنا يمكننا أيضاً أن نتحدث عن "**الملَكات**" المختلفة الموجـــودة في الله، فيـــتحدث في الفصـــول الأولى من الخلاصـــة اللاهوتية للقديس توما الأكويني عن الملكات الموجودة في الله، وفجأةً نجده قد حوَّل مجال حديثه عن ملكـــات الله إلى أقانيم الثالوث الموجودين في الله أيضاً. فـــلماذا تحـــول الحديث هنا؟ فرده على هذا يكمن في فكـــرته، إن الله ببساطة متناهية متحد في طبيعته الإلهية، لذلك ثلاثة أشخاص ذوو طبيعة واحدة متحدة. لذلك لا نســـتطيع أن نشرح طبيعة الله الإلهية النشطة الخلاقة من خلال الملكات المختلفة الموجودة بها، لكن كيف نستطيع شرحها؟ يمكننا شرحها عن طريق الإيمان الذي يعلمنا أنه يوجد بين أشخاص الثالوث علاقة وحوار باطنية قوية لا يمكننا أن نصف مدى قوتها بل نظل عاجزين، حتى وإن ذكرنا البسيط عن هذه العلاقة.

لقد كان الهدف الأساسي للقديس توما الأكويني الانطلاقَ من خلال الحوار والعلاقة التي بين الأشخاص، حتى يصل إلى معرفة الشخصية التي عرّفها على أنها **نتيجة العلاقة بين شخص وشخص آخر**. كذلك في الحياة العادية لا يمكن لنا أن نطلق على شخص صفة الأبوة ما لم يكن لديه أولاد. كذلك نلقب بعضا بالمعلمين والأساتذة لوجود تلاميذ لهم، يستمعون ويتعلمون وينشرون فكر هؤلاء، ومن خلالهم يصبح المعلمون ذوي شخصيات قوية ومشهورة، وبدون التلميذ لا يوجد المعلم والعكس، ينشأ ذلك من خلال العلاقة بينهم. كذلك دُعي اللهّ **آبا** لأن له **ابن**، والاثنان لهما علاقة مع **الروح القدس**. فمن المهم الآن أن نوضح هذه الفكرة السابقة، الله الآب والابن يسوع المسيح لهما علاقة وصلة قوية وعميقة بالروح القدس الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس. إن لم تكن هذه العلاقة موجودة بين الآب والابن مع الروح القدس يصبح في الله أربعة أشخاص، وذلك عن طريق علاقة الآب، والابن بالروح القدس بطريقة منفصلة.

في النهاية يتسائل القديس توما الأكويني، **كيف يمكننا نحن أن نشرح ونوضح سر حياة الله الباطنية؟**

فيرد إن الله ذاته يكشف عن نفسه من خلال وحيه المقدس. أيضاً تقوم الأقانيم برسالة هامة في العالم، فالكلمة [أي الابن] والروح القدس دورهما الأساسي هو خلاص البشرية، حتى يعرف الإنسان الله ويحبه عن طريق النعم الممنوحة له كإنسان من خلال معرفته وإرادته. يمكننا أيضاً أن نقول عن ذواتنا، وما نحمله من علامات ثالوثية بداخلنا من خلال النعم والمواهب التي منحها الله لنا، وهي أن نقدس ذواتنا ونصبح مرسلين من ذواتنا أيضاً، حتى نكتشف حقاً مدى عظمة دعوتنا وحياتنا كمسيحيين في العالم المحيط بنا. إن الناسك العظيم والعابد للثالوث القدوس **ريكاردو دي القديس فيكتور**[٢٥] **Riccardo di San Vittore** لم يكن بعيداً في شرحة عن شرح القديس توما الأكويني الذي ذكرنا جزءاً منه سابقاً. والذي فيه ينطلق من الله ذاته وحياته، حيث يوجد كمال نشاطه وحيويته، معتمداً اعتماداً مباشراً على تعاليم الإنجيل. هذه التعاليم التي

---

٢٥ **ريكاردو دي القديس فيكتور** مات في عام ١١٧٣، هو لاهوتي ومؤلف روحي سويسري. يقال أنه وصل إلى دير القديس فيكتور بباريس عندما كان شاباً . ثم دخل في هذه الجماعة الرهبانية، ثم صار رئيساً للرهبنة فيما بعد. له مؤلف غاية في الأهمية عن الثالوث، وكذلك له عدة مؤلفات روحية، وكذلك لديه العديد والعديد من الشروحات الخاصة بالكتاب المقدس (٢).

يلخصها لنا الإنجيل ويقدمها في كلمة واحدة وهي "**الله محبة**" (١ يو ٤/ ٨). هذا هو عمل الله وصفته الأساسية أنه محبة، من خلال علاقاته بالأقانيم التي تظهر قمة هذه المحبة. لأن المحبه لا تظهر ولا تُعرف إلا من خلال العلاقة بين الأشخاص، فكم بالحري عندما نتكلم على الله منبع المحبة الحقيقة وأساسها.

لقد علق القديس أوغسطينُس على ذلك بقوله، **إن المحبة يعيشها مَنْ يحب حقاً**، لأنه يوجد بها طرفان **شخص يحب وآخر محبوب، وبهذا يصبح دور الحب هو توحيد الكثيرين**. لكن القديس ريكادو أظهر هذا وأوضحه من خلال ما كتب بطريقة مستفيضة، لم يصل إليها القديس أوغسطينُس من قبله وهي:

إن الحب هو الذي جعل الآب يلد الابن. فلماذا نجد بل ونعلق على الشخص الثالث الإلهي [**المقصود هنا الروح القدس**]؟ فيجيب ريكاردو على هذا السؤال قائلاً: "**إن طبيعة الحب بين شخصين هي طبيعة انتشائية فطرية، ومن خلال حبهما هذا يسعيان ليصبحوا ثلاثة أشخاص من خلال اقتسام حبهما بينهما**". ففي سر الزواج نجد الحب بين الزوج والزوجة يظهر من خلال كلماتهما التي يعبرون بها عن رغبتهما في الارتباط أولاً،

وعلاقـــتهما الزوجـــية. أيضاً يمكننا أن نطبق هذا على الروح القدس المنبثق من الآب والابن من خلال علاقتهما الإلهية. وقد تم توضيح هذه الفكرة للقديس ريكاردو من خلال دارسية المعاصرين بطريقة مستفيضة.

القديس بونافنتورا[٢٦] San Bonaventura

يتخذ نفس نهج القديس ريكاردو، الذي يشرح قـــائلاً: "**الله الآب هو محبة ويريد أن يظهر لنا بكامل طبيعته وصفته، فظهر لنا في صورة الابن متخذاً جسداً بشرياً**" فعلينا نحن أن نكتشف هذا الحب الثنائي، الذي يظهره لنا الله الآب من خلال الابن، على مداه الطويل يصبح الروح القدس الذي يعبر عن الحب الإلهي بينهما، ويظهر أيضاً لنا من خلال العالم المخلوق المحيط بنا. أيضاً في وقتنا المعاصر نجد **أدريان فان سبير**[٢٧] **Adrienne**

---

٢٦ **بونافنتورا** (١٢٢١- ١٢٧٤). راهب فرنسِسْكانيّ إيطاليّ. فيلسوف ولاهوتيّ. لُقّب بالمعلّم الساروفيميّ. مثّل النزعة الأوغسطينيّة في الفلسفة المدرسيّة. كان لتآليفه الروحيّة وقع بعيد في التصوّف المسيحيّ (١).

٢٧ **أدريان فان سبير** (١٩٠٢- ١٩٦٧)، ولد وترعرع في أسرة بروتستانتية تابعة لمذهب كالفن. انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٤٠. كان الطابع الغالب لحياته هو الطابع النسكي، وقد دون العديد والعديد من هذه الأفكار النسكية. مع زميل حياته فان بلتصر استطاع أن يؤسس جماعة القديس يوحنا الأول. من أهم أعماله نذكر شرحه للكتاب المقدس وتقسيمة بطريقة تأملية يومية، وتعليقه الروحي اللاهوتي على إنجيل القديس يوحنا مع زميله فان بلتصر (٢).

von speyr، يكتب قائلاً: "**إن حب الله الآب شامل للعالم أجمع ولا حدود له ولا نقصان فيه**". لكي نختتم كـل هذه الأفكار السابقة أضيف تلخيصا عما سبق في **فكرنا البشري نعتبر دائماً أن وجود الله كامل لا نقص فيه، فهو كمال الحقيقة والخير**. المسيحيون يؤمنون بسعة رحمـته فهو الآب الرحيم. هو من جعل من محبة البشر سـرا عظيما من خلال تجسده وصلبه وموته وقيامته من أجـل خلاص الإنسان الذي أحبه. وبعد كل هذا نجد كمال الإنسان، بل محبته لله غير كاملة. ختاماً لهذا أقول: "**إن الوحي الثالوثي المقدس يقدم لنا نموذجاً هائلاً على عظمة المحبة الشخصية الجماعية في ذات الوقت القادرة عـلى تطهـير الجمـيع من كل طبيعة مخالفة للمحبة الكاملـة. والقادرة أن تشمل العالم كله عندما نفتح قلوبـنا ونصـغي لعمل وإرشاد الثالوث القدوس في حياتنا عن طريق روحه القدوس الأقنوم الثالث منه**".

الفصل الرابع

لإدرك الخالق ننطلق من الحياة الإلهية

أسلوب كارل راهنر[٢٨] Karl Rahner

يتسائل كارل راهنر قائلاً: "لماذا لا نجد سر إيماننا الأول بطريقة أخرى أسهل وأبسط من هذه؟ [المقصود هنا بسر الإيمان هو إيماننا بالله الواحد المثلث الأقانيم]. لذلـك نجد العديد والعديد من المسيحيين ممن يتمتعون حقـاً بإيمـان قوي بهذه العقيدة، مؤمنين بالإله الواحد. ويرجع كارل راهنر قوة هذا الإيمان لهذا السبب وهو أن المسـيحين الأوَّل كـانوا دائمـاً مستعدين لسماع واكتشاف الوحي الثالوثي بطرق مختلفة، كرسالة هامة جداً لحياقم الإيمانية، ساعين دائماً على تطبيقه وفهمه في حياقم. والأهم من ذلك لم يختاروا أبداً نقاطاً سهلة كي يشرحوها وينطلقوا منها لموضوعات الإيمان المختلفة التي يؤمنون بها. لكنهم سعوا جاهدين كي يعرفوا حياة الله الباطنـية، من خلال ما هو موجود في العالم الذي خلقـه الله. وأيضـاً مـن خلال هذه الملكات الثلاث

---

٢٨ كـارل راهنر لاهوتي كاثوليكي وراهب يسوعي، ولد في مدينة فرايبورج Freiburg في عـام ١٩٠٤، أكمل دراساته الفلسفية واللاهوتية في أماكن عديـدة. شارك في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني كخبير ومستشار عن مجلس الأسـاقفة الألمـاني. من أهم كتاباته "تحول أنثروبولجي" والذي ركز فيه على اهتمام علم اللاهوت بالإنسان. توفي في عام ١٩٨٤ (٢).

الموجـــودة في الإنســـان "**الذاكـــرة، العقل و الإرادة**" استطاعوا أن يصلوا لمعرفة كل ما يدور في عمق الإنسان وباطنه. ليس هذا فقط، إنما ساعدهم أيضاً لمعرفة كيفية الاتحاد بين الأقانيم الإلهية الثلاثة، في الإله الواحد. لكن هـــذا الأســـلوب الذي أوضحناه في الكلمات السابقة، يخدمـــنا إلى درجـــة معينه من المعرفة، بعدها ندخل في خطوات أكثر تعقيداً، تجعلنا لا نقترب من سر الثالوث، بـــل على العكس نبتعد عنه. لكن يفكر كارل راهنر في هذه المعضلة الإيمانية شارحاً إياها بهذه الطريقة وهي:

كي نصل إلى فهم ومعرفة الله، علينا أن ننطلق من العـــالم المحيط بنا، لأنها الطريقة الوحيدة التي من خلال نســـتطيع اكتشاف الله من خلال مخلوقاته. أيضاً يتسائل إلى أي درجـــة يمكنـــنا أن نعمم هذه النظرية في قضية الـــثالوث الإيمانـــية؟ نحـــن المدعوون كي نعرف العالم والإنســـان أيضاً، لكن معرفتنا لهما غير كاملة، نظراً لما يحتويه من أسرار لا نستطيع أن نصل إليها. متناسين أن الإنســـان هو الذي يعطي المعني لوجود العالم وحقيقته، لأن مـــا الفـــائدة من وجود العالم بدون الإنسان، لأنه الكائن الوحيد الذي يسعى لمعرفة ما يدور حوله. لذلك تصـــبح معـــرفةُ العالم وكذلك معرفةُ الإنسان ذاته سرا

معقــدا جــداً. ولكي نصل إلى معرفة حقيقية لكلتاهما نحــتاج إلى وحــي إلهي، لأن الوحي يقدم لنا جزءاً من معرفة الله ذاته حتى أنه يصبح ملكة من ملكات الإنسان. أيضــاً يصبح المفتاح الأول والوحيد لفهم هذه الحقائق المخلوقــة [**المقصــود هنا الإنسان والعالم**] هو الثالوث القــدوس، لأنه يمنح الشخص المعرفة الكاملة لمعرفة ما يدور حوله حتى يستطيع أن يخدم العالم الذي يعيش فيه. لذلك نحن سعداء لأن الله وضع فينا نعمة المعرفة للإنسان والعــالم، كي نستطيع أن نكتشف جزءاً بسيطاً من سر الــثالوث القدوس من خلال الوحي المسيحي المقدس، الذي يمنحه اللهُ البشريةَ على مر العصور والأزمنة.

أيضــاً يوضح كارل راهنر يوضح ذلك ويشرحه باستخدامه تعبيرين مختلفين هما: "**الثالوث المتماثل**" وهو الــذي يوضــح من خلاله حياة الله الباطنية، أما التعبير الآخــر فهــو "**ثــالوث الخلاص**" الذي يظهر ويوضح خلاص الله الواحد المثلث الأقانيم وشموليته للجميع. إن معرفة هذه الطريقة تساعدنا كثيراً في فهم بعض الحقائق الإلهية. لأنه إذا أردنا معرفة عمل أدبي حقاً أو عمل فني، فعليــنا أن نعــرف مــنْ قام بهذا العمل، نعرف حياته والظــروف التي مر بها وغيرها من الأحداث التي أثرت

فيه، كذلك يتوجب علينا أن نسعى كي نعرف البسيط عن حياة الله الباطنية.

إن أعمـــال الله كثيرة جداً، لكن عمله الأول هو خـــلاص البشـــرية، وهذا نكتشفه من خلال قصة هذا الخـــلاص عـــبر الكتب الملهمة. تظهر قمة الحب الإلهي للبشـــرية والعمل على خلاصها بصورة كاملة من بداية الخليقه وتكتمل في الحب المتجسد الذي أظهره الله الآب لنا، عندما أرسل ابنه الوحيد ليخلص الكل بقوة الروح القـــدس. لهـــذا السبب نسميها "**قصة الخلاص**" بالمعنى الضـــيق، لكن خبرة هذا الخلاص وهذه القصة متروكة لخبرة الإنسان روحياً، حتى يستطيع أن يكتشف إلى أي درجة حقاً يحيا الخلاص في حياته. الآن نحاول أن نوضح التعبيرات السابقة بطريقة عامة.

الثالوث المتماثل: اتصال شخصي!

يوجد الكثير من المفكرين المعاصرين ممن يقولوا: "**إن الـــثالوث الإلهي يظل دائماً غامضاً علينا**"، ولكن هناك آخرون ممن يعتبرونه، بل يتخذونه في فكرهم على أنه سر لا يمكن الوصول لمعرفته معرفة كاملة، وهؤلاء لا يعتبرونه شيئاً غامضاً، بل شيء إلهي لا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفته كاملة. وهنا نجد استخدام هؤلاء للمعنى

الحقيقي لكلمة "**سرّ**"، مؤكدين على أن الله يوحي أسراره للإنسان المؤمن بطرق متنوعة وبدرجات مختلفة. وقبل كل شئ فهو يوحي للإنسان من خلال الحوار الشخصي الذي بينهما [**وهنا يأتي دور الصلاة الشخصية التي يقوم بها الإنسان لمعرفة إرادة الله له**]. أيضاً كلمة "**سرّ**" علينا أن لا نعتبرها ككلمة محبطة للعزيمة في البحث والوصول للهدف المراد، لكن علينا أن نتخذها كمصدر ودافع للبحث لاكتشاف جديد دائماً.

لذلك اعتبر **إيفاجريوُسْ البنطي**[٢٩] **Evagrio** أن عمل اللاهوت الأول وشرحه للموضوعات، يجب أن تأخذ **معضلة الثالوث القدوس** فيه المكانة الأولى، لأنها **أساس إيماننا** المسيحي، وهنا يمكننا الرجوع إلى كل ما قد قاله النساك والمتعبدون لله، وبصفة خاصة ممن قد كرسوا ذواتهم لعبادة الثالوث القدوس، متجنبين من هم كتبوا ضد هذه العقيدة ومتيقظين لهم، لأنهم قد شرحوا هذا الإيمان بطرقهم الخاصة.

---

٢٩ **إيفاجريوس البنطي** (٣٤٦- ٣٩٩). متوحّد يونانيّ، بنطيّ الأصل. كان لمؤلفاته أثر بعيد في يوحنّا كاسيانس وكتّاب روحانيّين آخرين. أوّل من دوّن العقيدة التوحّدية في الصلاة، وابتدع لغة التصوّف التوحّديّ (١).

يوجد العديد والعديد من لاهوتي العصر الحديث، ممن أستطاعوا حقاً أن يشرحوا ويوضحوا في كتاباهم ولقاءاهم ومحاضراهم، عن الحقيقة الوجودية للثالوث في العالم، وعن حقائق أُخر مثل حقيقة الحياة الأبدية التي تبدأ من هنا والآن في العالم الذي نعيش فيه. أيضاً قد أعطوا الثالوث القدوس المكانة الأولى في تفكيرهم اللاهوتي، بالإضافة لكارل راهنر نجد أيضاً **ولتر كاسبر**[٣٠] **W. Kasper**، ج. مولتمان[31] **J. oltman** ،

---

٣٠ ولتر كاسبر ولد في عام ١٩٣٥ راهب إنجليزي الأصل، حصل على درجة الدكتوراة التي أهلته لتدريس اللاهوت وأصبح أستاذاً. سيم أسقفاً في عام ١٩٨٩. منح رتبة الكاردينالية في فبراير ٢٠٠١، وفي شهر مارس من نفس العام تم تعينه رئيساً للمجلس الحبري لوحدة المسيحيين (٢).

٣١ ج. مولتمان، ولد في عام ١٩٢١ بالمانيا. هو أحد اللاهوتيين البارعين في الكنيسة البروتستانتية في وقتنا المعاصر. يعمل كأستاذاً جامعياً، له العديد من المؤلفات اللهوتية والفكرية. يعتبر رائداً ومؤسساً لتيارين في الفكر اللاهوتي هما" لاهوت الرجاء، ولاهوت الصليب" (٢).

فان بلتصر[٣٢] H. Van Balthasar هذا بالنسبة للغرب، أما بالنسبة لنا نحن الشرقيين فيوجد فلورنسكي[٣٣] P. Florenskij.

لقد كانت العلاقة الشخصية بين الإنسان والله من أحد الأسباب القوية الهامة لهذا التجديد التفكيري للثالوث، وهذه العلاقة التي لا يمكن أن تنشأ خارج إطار الصلاة الشخصية، كي يعرف الإنسان الله بصفة شخصية من الحوار الذي يقيمه معه. هنا أيضاً ينطبق مبدأ الفلسفة العصرية المعروفة باسم الفلسفة "**الشخصية**"، والتي تعتبر أن الشخص هو أغلى وأثمن ما في الوجود، وكذلك كيانه الشخصي الذي يساعده على الحياة في الحياة. **يا للأسف** لا نريد اليوم أن نتعرف على الله سبب وجود كل الأشياء، بل الذي خلق كل الأشياء

---

٣٢ **فان بلتصر** (١٩٠٥- ١٩٨٨) لاهوتي ولد في سويسرا، ويُعتبر واحد من أهم لاهوتي القرن العشرين في بالنسبة للكنيسة الكاثوليكة. وقد منحه البابا يوحنا بولس الثاني، وسام البابا بولس السادس في عام ١٩٨٨. ثم رشح ليكون كاردينال ولكنه مات قبل رحيله من بلده لروما للإحتفال ونوال هذه الدرجة (٢).

٣٣ باول **فورنسكي** ولد عام ١٨٨٢، كاهن روسيّ. كان واحداً من رواد حركة التحديث في العصر الحديث في الفكر الروسيّ. اعتقل في عصر ستالين ثم نفيّ إلى إحدى الجزر، يعتقد أنه توفيّ عام ١٩٤٣. أهم أعماله "دعامة وأساس الحقيقة" وهو يتكون من ١٢رسالة تتحدث عن العدالة الإلهية " La Teadicea" (٢).

ما يرى وما لا يرى، فكيف يمكننا أن نقيم حواراً وعلاقة شخصية معه، هذا يتطلب منا الكثير والكثير من المجهود المضاعف.

الآن علينا أن نعرف الآتي: **ماذا تعني كلمة شخص؟** وكما ذكرت سابقاً فكرة القديس توما الأكويني عن هذا، بقوله إن الشخص يوجد من خلال علاقة شخص بآخر [**المقصود هنا علاقة الزوج والزوجة والرغبة في إنجاب طفل**].لكن أحد الشعراء والمفكرين الروس يقول: "**أنا أوجد لأنك أنت توجد**" وبهذا المعنى لا يمكن لنا أن نتخيل أن الله يوجد وحيداً، لأنه ثالوث في الأشخاص المتحدين في الإرادة. لأنه لا يمكننا أن نتخيل الله الآب بدون علاقة مع الأقانيم الأخرى الابن والروح القدس، لأنهما من طبيعته. فإذا أمعنا النظر في العالم الذي نعيش فيه نجد الفنان يقيم علاقته مع الفنانين الآخرين من هم على نفس المستوى، وغيرهم من طبقات المجتمع، فكم بالحري الله تعالى الذي يحيا في علاقة حقيقة داخل الثالوث. لذلك إذا كانت علاقتنا البشرية تقام على حسب الإمكانيات والطبقات، نستطيع أن نطبق هذا على الله ذاته، وهنا نجد الفرق الشاسع. إن الله يقيم علاقة أيضاً مع الإنسان الذي

خلقـــه! يقول أحد المفكرين الروس وقد كان متزوجاً حديـــثاً: "**لكي تكون العلاقات شخصية حقيقة، يجب عـــلى الشخص أن يكون متمتعاً بالحرية والوعي. لأن الذي يعيش عبداً لآخر لا يستطيع أن يكوَن شخصية لذاتـــه**" مطـــبقين هذا على الله ذاته الذي أراد أن يقيم علاقة مع الابن، والروح القدس، هذه العلاقة المتمعة في جوهرها بكل الحرية والوعي. أيضاً يعلمنا الوحي المقدس المســيحي أننا نستطيع اكتشاف الله ومعرفته من خلال معرفتنا للإنسان، لأننا نعتبر حياة الإنسان الباطنية، كرمز لحـــياة الله الباطنية أيضاً. لكن الله الآب قد أوجد الابن وجـــوداً أزلياً معه بقوة الروح القدس وبكامل حريته، وعلى حسب طبيعة الآب الإلهية هذا من ناحية. أما من ناحية أخرى فإن الابن يقبل هذه الطبيعة الإلهية من الآب بكامل حريته مخضعاً إرادته لإرادة الآب. ومن هنا نصل إلى أن الابن أخذ كل طبيعته الوجودية كاملة من الآب، مـــع الاحتفاظ بطبيعته الكاملة، لأن الابن يرث ما هو للآب، ويصبح الشخص أبا عندما يوجد له ابن، والابن يستمد ما له من أبيه.

تحاور الأشخاص:

يوجد العديد والعديد من العلاقات بين الأشخاص، **لكن هل نستطيع حقاً أن نعتبرها علاقات؟** لأن العلاقة الحقيقة توجد مع توافر الحوار فيها. وفي حياتنا الإنسانية يقام الحوار عبر الكلمات، فكيف يمكننا تطبيق هذا على الحياة اللإلهية؟. ففي افتتاحية إنجيل القديس يوحنا، يسمي **الابن باللوغس Logos أي الكلمة**. فإذا أردنا معرفة أساس ومصدر هذه الكلمة، سواء في لغة الفلسفة أو لغة الكتاب المقدس، نحتاج إلى تفاصيل كثيرة. فعلى سبيل المثال في اللغة والحضارة الإغريقية كلمة **اللوغس** لها ثلاثة معان:

١. **توضيح نواة وطبيعة الشيء.**
٢. **الفكرة.**
٣. **الكلمة التي من خلالها يقام الحوار والعلاقات.**

لذلك وضع آباء الكنيسة اليونانيين هذه المعاني الثلاثة نصب أعينهم وفي اعتبارهم وتفكيريهم، مطبيقين هذه الأفكار عند شرحهم على العلاقة التي بين الآب والابن في حياتهم الاتحادية. لأنه إذا كانت الكلمة تعطي وتوضح طبيعة الأشياء، كذلك الابن كلمة الله الآب

عمل هذا أثناء تعاليمه وحياته الأرضية. أيضاً إذا كنا من خلال الكلمة نعبر عن الفكرة ونشرحها، كذلك الابن الـــذي شرح وأعلن طبيعة الآب وحقيقته، كي يسهل علينـــا معرفته وإقامة علاقة معه. أخيراً إذا كان اللوغس الكلمة، فالمسيح الابن هو كلمة الله الحقيقة التي أتت إلى العـــالم من أجل خلاصه. نضيف هنا المعني الذي يقصد بهـــذا اللوغـــس في التقلـــيد الكتابي، وهو أن كلمة الله وصلت إلينا بتجسد الابن بل في الابن ذاته، الذي دعانا للعمـــل على تنفيذ إرادة الله بقوة أبيه عن طريق الروح القدس. كذلك الابن هو حقيقة الله الآب، لأن طبيعتهما واحـــدة ومتحدة، هكذا أوضح وعلق على هذه الفكرة الكثيرون من الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة.

فإذا كانت هذه الشروحات السابقة تساعد على فهم طبيعة الحياة الإلهية والعلاقة التي بين أقانيم الثالوث القدوس، فعلينا أن نتبعها في تفكيرنا الواحد المثلث. لأن الإنسان عندما يفكر في أحد الأقانيم عليه أن لا يتناسي الاثنين الآخرين، يجب أن يكون تفكيرنا جامعاً. يوضح لـــنا هذا ما كتبه **باول فلورنسكي، الذي يعتمد فيما يشرحه على الأساس الوجودي للشيء**، وعرَّفه بصفة شخصـــية في طبيعتة العامة. لأن الأشياء تعرف بحسب

طبيعـــتها الأساسية وتجربتها في الواقعية، مع جودها التي وجـــدت علـــيها. وكل العلوم توضح لنا وتقول: "**إن الأفكـــار يجب أن تكون واضحة ومتلائمة عن الشيء المـــراد معرفـــته واختباره**"، إيماننا المسيحي يؤكد هذه الفكـــرة بالنسبة للأشياء فقط، ولانستطيع تطبيقها على الإنسان الذي يحمل سراً عظيماً بداخله. هذا السر يمكن لـــنا معرفـــته عندما نحيا علاقة الثقة والمحبة المجانية. فإذا كانت هذه الثقة والمحبة نافعة للإنسان، فكم بالحري في تطبيقها على علاقة الآب بالابن والروح القدس في الحياة الإلهية؟ لأنه حقاً توجد بينهم علاقة المحبة الكاملة.

لقد ذكرت بعض الشروحات والأفكار القليلة عن هـــذه المعضلة الإيمانية التي تساعدنا على معرفة حياة الله الباطنـــية. والآن ننطلق من عالمنا الواقعي الذي اتخذه الله كـــبداية للكشـــف عن ذاته لنا كما يذكر لنا الكتاب المقدس، وكذلك إيماننا المسيحي، أن الله جاء إلى العالم كي يخلصه حتى نعرف وجود الثالوث فيما يحيط بنا.

خلق العالم:

عـــندما يحضر شخص ما إلى أحد المصالح المدنية، تُطْلَبُ منه المستنداتُ الضروريةُ لمعرفة هويته، الوالدين،

والجنسـية، وتاريخ الميلاد. لكن هنا يأتي السؤال التالي: **لماذا لا نفكر في هذه الأمور عندما نتمعن في العالم المحيط بنا؟** لكن حتى إنْ كنا في الحقيقة نعرف الكثير والكثير عن الأشياء الموجودة بالعالم، لكن يوجد الأكثر منها الذي لا نعرف من أين قد أتى، وبهذه الطريقة تظل مجهولة بالنسبة لنا، فنحن كمسيحيين نحاول تجنب هذه الصعوبة بالقول **إن الله قد خلقها، هكذا يقول الكتاب المقدس**. أيضاً الفلاسفة يمكنهم أن يصلوا إلى هذه النهاية السابقة في الرد على هذه المشكلة. وذلك لأن الفلسفة تحاول دائماً اكتشاف الله من خلال النظام الطبيعي للعالم وجماله. فتصبح نتيجة هذا التفكير كعامل مساعد لنا للوصول إلى الله، لكن هذا غاية في الصعوبة أن نكتشف ونعرف الله من خلال العالم، وإن كان من الممكن.

يُشبِّهُ الفلاسفةُ العظماءُ **أرسطو، أفلاطون** الله بالشمس الساطعة في السماء. كلُّنا نحبُ الشمس، لكن هل تحبنا الشمس كبشر على هذه الأرض؟ **لأن الإنسان يحب ما يرغب، ويرغب ما يحتاج إليه.** إن الله ملء الكمال ولا يحتاج لشيء من أحد، وهذ ما جعل بعض الفلاسفة يعتقدون أن الله لا يحب العالم، ولم يدخل في علاقة معه ولا مع الإنسان، فيتساءلون **عن مصدر وجود**

العالم من أين أتى؟ ربما يكون أزلياً؟ أو هو حقيقة خارجة عن الله، وإذا كان هكذا فكيف نفكر فيه؟

في عظات القديس باسليوس عن عمل الله في قصة خلق العالم، حاول أن يجمع بين كل النظريات الفلسفية المعاصرة له في ذاك الوقت، والتي كانت تتحدث عن قصة خلق العالم وأساس وجوده. ومن المدهش أنه قد توصَّل لنتيجة مضحكة جداً وهي، إن هذه النظريات لا تتوصل لشئ مفيد ولم تعطِ أية إجابة. لكننا نجد الكلمات الوحيدة المفيدة في الكتاب المقدس، "*في البداية خلق الله السماء والأرض*" (تك ١/ ١). أيضاً الله الذي يخبرنا عنه الكتاب المقدس، يختلف تماماً عن الله في لغة الفلسفة، لأن إلهنا الذي نؤمن به أعلى من كل شيء مادي، كما يخبرنا عنه كتاب المزامير "*إليك رفعت عينيَّ يا ساكن السموات*" (مز ١٢٢/ ١). إلهنا لم ينغلق على ذاته، بل أحب البشرية جمعاء، ومازال يحبها حباً أبدياً، وقد دخل في عالمنا من خلال كلمته ذات القوة الخلاقة والمبدعة، "*لأنه قال كن فكان*" (تك ١/ ٣...). ومع هذه القوة الخلاقة كان لابد لله أن يخرج من ذاته، لأن خروجه من ذاته يحقق كماله المطلق! وهنا اعتراض الفلاسفة. يؤكد أيضاً القديس باسليوس على تشابه كلمة

الله وكلمات البشر، حتى وأن كان بينهم اختلاف. لأن كلماتنا ضعيفة جداً، لكن عندما تخرج من فمنا لا يمكننا أن نرجعها ولا نستطيع التحكم فيها بعد النطق بها، لذلك يوجد مثل يقول: "**تخرج الكلمة من الفم بسهولة وخفة العصفور، لكنك لا تستطيع بقوة حصان أن ترجعها مرة أخرى بداخلك**". لذلك تتوقف النتيجة على كلماتنا التي نتفوه بها في معظم الأحيان، سواء كانت إيجابية أو عكسية، لصالحنا الشخص ذاته أو ضده.

لكن الكتاب المقدس يقدم لنا الكلمة بطريقة مختلفة، لأنها كلمة الله الإلهية، وكلمة الله قوية، لأن بداخلها تحمل الروح الذي أوحاها فيقول: "*تحجب وجهك فيرتاعون. تسحب أرواحهم فيموتون وإلى ترابهم يعودون ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الأرض*" (مز ١٠٣/ ٢٩- ٣٠). فكلمة الله التي بشر بها، والمرسلة من الروح القدس قد خلقت العالم من خلال اتحادهم بالخالق الأعظم الذي منح الكلمة أن تخرج من فمه وفي الوقت نفسه ظلت الكلمة متحدة به.

أما في العهد الجديد نعرف جميعاً أن **الكلمة هي الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، أي يسوع المسيح الابن**، والروح المنشط لهذه الكلمة هو **الروح القدس**.

فنختتم هنا بهذه الخلاصة، الله الآب **خلق العالم ويديره ويقدسه من خلال الابن في الروح القدس**. وكما يقول آباء الكنيسة: "**الابن والروح القدس حقاً كأنهما بمثابة يـــدي الله اللذا خلق بهما العالم**" [**هنا لا يقصد المؤلف يدي الله بالمعني المادي**]. كذلك توصل اللاهوتيون لهذه الفكـــرة وهي؛ أن كل الخير الآتي إلينا هو من الله الآب عن طريق الابن وبقوة الروح القدس. كذلك يمكننا أن نقـــول هـــذا بطريقة معكوسة: "**كل الأشياء يجب أن ترجع في الروح القدس من خلال الابن إلى الله الآب**"، فتصـــبح بالنســـبة لنا "**المسيرة الذهبية**" وللخلقية، بل لتقديس العالم أجمع.

العالم إنعكاس للابن والروح القدس:

إن كـــل عمـــل يشبه الصادر منه، لأن من يقوم بعمـــل ما يضفي على العمل شيئاً من صفاته الشخصية وميولــه، وبصـــفة خاصة ينطبق هذا على فئة الفنانيين والرســامين. لأننا من خلال رؤيتنا للوحة جميلة الرسم نستطيع أن نكتشف روح من رسمها. فالعالم الذي نراه بأعيننا هو لوحة متسعة مليئة بالفن والإبداع، مؤلفه الله الواحد المثلث الأقانيم. وبهذ يمكننا أن نكتشف انعكاس صـــورته في العالم المحيط بنا، لأن الطبيعة تقدم لنا أشياء كثيرة جميلة، فيصبح من السهل أن نرى فيها وجود الله العلي. **لكن كيف يمكننا رؤية الابن فيها؟**

إن كـــل الأشياء قد خلقت بواسطة الابن، وقد أبدع في صنعها كفنان ماهر، وتحمل المخلوقات شيئاً من صـــفاته. الابن ولد من الآب، مختلف عن الآب، ولكن بالحـــري متحد معه اتحاداً قوياً. وبهذا المعنى يمكننا رؤية الآب والابن فيما هو مخلوق في العالم، لأننا عندما نفصل ونبعد المخلوقات عن الله خالقها، تذبل وتموت وتصبح لا حـــياة فـــيها. أيضـــاً في الابن يظهر الآب حقيقته، وكذلـــك العالم يلهم ويظهر لنا حقيقة وعظمة الخالق: *"أحبك يا ربُّ يا قوتي يا مخلصي، من العنف خلصتني"*

(مز ١٨/ ١). الابن هو قدرة وقوة الآب في العالم، ونحن نستمد قوتنا في الحياة من قوته وقدرته، *"إياكم أن يأسركم أحدٌ بالفلسفة، وبذلك الخداع الباطل القائم على سنة الناسِ وأركانِ العالم، لا على المسيح"* (كولسي ٢/ ٨)، أو بالأحرى كما نؤمن أن كل الأشياء الموجودة في العالم، هي بين يدي الله الآب وتحت رعايته. يصبح هذا التشبيه في غاية البلاغة عندما نطبقة على قصة خلق الإنسان، الذي قد توجب عليه أن يتسلم نعمة وجوده وحريته من الله العلي، قابلاً لعمل إرادته بحريته في حياته. بل هو وحي الله وصورتة، التي صنعت على صورة ابنه الوحيد، بل دعي شريكاً لله ومواصلاً عمله في الخلقه للعالم، بالقوة الممنوحة له من الآب والابن معاً.

وفي هذه الحالة، حاول الكثيرون من الفلاسفة أن يكتشفوا العلاقة بين الله والعالم، [**الفلاسفة هنا لا يقصدون ولا يتحدثون عن الله كما نعرفه نحن اليوم كمسيحيين**]. فقال أفلاطون: "**الله لا يمكن له أن يحب أي شيء إن لم يكن ذاته**"، وبهذه الفكرة لا يستطيع الله أن يحب العالم، لكن ليس هذا الله الذي نؤمن به كمسيحيين. لأن الله في المسيحية قد تجسد في صورة المسيح الابن وأحب ذاته في ابنه، بل في العالم أجمع وكل

مخلوقاته التي خلقت بواسطته، "*به كان كل شيء وبدونه ما كان شيءٌ مما كان*" (يو ١/ ٣). فنرى الخليقة ونسمعها تهتف وترنم معلنةً حضور الروح القدس فيها، وهنا نذكر المعاني المختلفة للفظ "**قدوس**" ففي اللغة العبرية **قدوش**، وفي اليونانية **آجيوس**، لكن اليوم يدعى العديد من الأشخاص **قديسين!** وإذا أردنا أن نبحث عن أصل هذه الكلمة فنجدها تختص بما هو إلهي، لأن الله وحده هو القدوس والسيد. أيضاً يشرح الآباء اليونانيون: الروح القدس قدوس في طبيعته وأرسله الابنُ لتلاميذه في يوم العنصرة كي يقدسهم، ويجعلهم مقدّسين للعالم أجمع بوجودهم فيه، ويكونوا مسحاء آخرين.

المسيح بكر كل خليقة:

هنا نتحدث بوضوح عن المسيح بكر كل خليقة لأنه حقاً هكذا، "*هو صورة الله الذي لا يُرى وبكر كل خليقة*" (قو ١/ ١٥). وهو أيضاً، "*هو قبل كل شيء وبه قوامُ رأس الجسد أي رأسُ الكنيسة. هو البدءُ والبكرُ من بين الأموات لتكونَ له الأوَّليةُ في كل شيء*" (قو ١/ ١٧ – ١٨). لأن فيه **الإله/ الإنسان** يحيا ملء الحياة الإلهية، أي حياة الثالوث القدوس. وهذا يجعلنا نتذكر المقولة

القديمـة، "**إن عالمنا أفضل من جميع العوالم الأخرى**". وهـذا حقاً بالنسبة لنا كمسيحيين مؤمنين أن الله خلق العـالم ورآه حسـناً. فان لم يكن هكذا فيصبح كالهباء الذي لا معنى له، لأن الله لا يوجد فيه. وتذكرنا المقولة السـابقة أيضاً، أن الله خلق العالم وأعطاه الحرية كاملةً وجعلـه مهيـئاً ومعبراً عن حضوره فيه، حتى وإن كنا نواجـه في حياتنا النكبات الطبيعية التي تحدث خراباً به، إلا أنه يجب علينا أن نكتشف قوة الثالوث الخلاقة فيه. يمكننا أن نفكر هكذا عندما نضع نصب أعيننا بكر كل خلـيقة، يسوع المسيح، الذي هوالكل في الكل، "*ومتى أُخضـع له كلُّ شيء، فحينئذ يخضع الابن نفسه لذاكَ الذي أَخضعَ له كلَّ شيء، ليكونَ اللهُ كلَّ شيءٍ في كلِّ شـيء*" (١ كو ١٥/ ٢٨). ويتفق مع الفكرة السابقة المفكر الروسي **فلاديمير سولفيوف**[٣٤] ويؤكد حقيقتها، واضعاً ما هو أساسي بهذه الطريقة الفلسفية:

---

٣٤ **فلاديمير سولوفيف** ولد في موسكو عام ١٨٥٣، وكان والده أستاذاً في جامعة موسكو. درس الفلسفة في نفس الجامعة وحصل على درجة الدكتوراه عن رسالة "أزمة الفلسفة الغربية". من أهم أعماله "محاضرات عن الإلهي-الإنساني "Lezioni sul divino- umano" و "المسيح الدجال "L'Anticristo" و "أسس الحياة الروحية I fondamenti della vita spirituale" توفي عام ١٩٠٠ (٢).

١. مـــن المادة الأولية حتى الخلية الأولى التي تعيش على الأرض.
٢. من الحياة الأولى حتى الإنسان.
٣. من الإنسان الأول حتى الإنسان/ الإله.
٤. مـــن يسوع المسيح التاريخي حتي المسيح مخلص العالم .[المقصود بيسوع المسيح التاريخي هو ما ذكـــر عنه في كتب الأنبياء، أما يسوع مخلص العالم هو يسوع المتجسد، وبهذا تحقق ما جاء في كتب الأنبياء]، وبهذا نصل إلى ملء الحياة الإلهية التي تجسدت في كل الخليقة والمخلوقات. ويضيف سولفيوف ويقول: "على كل منا أن يحيا كالمسيح في العـــالم"، تقديس العالم أيضاً يقع على عاتقنا، لأنـــنا دُعينا لعمل هذا على مثال من دعانا وآمنا بـــه. إننا نلاحظ أن للأطفال غريزة حب امتلاك الأشياء، لدرجة أنهم يعطون لها أسماء خاصة مثل: (اللعـــب وغيرهـــا) يتحدثون إليها ظانيين أنها تســـمعهم، يقدمون لها الطعام. بالنسبة للأطفال هذا العمل طبيعي جداً، لكن بالنسبة لنا غير طبيعي أن نجعـــل من الشيء غير الحي حياً، ومن الشيء

الحـــي شيئاً بلا حياة، لأن الروح هو المحي الذي يهب الحياة الداخلية والخارجية والروحية.

فعندما نمعن النظر في عمل الخليقة وتقديس العالم، نـــتقابل مـــع عمـــل الثالوث القدوس فيها. ولقد أكد اللاهوتيون على أساس الأعمال الخارجية للحياة الإلهية عـــلى أنهـــا **"حـــياة مشتركة للأقانيم الإلهية الثلاثة"**. والمقصـــود ب **حـــياة مشتركة** الاتحاد في اللانهائي بين الأقانـــيم الثلاثة، مع احتفاظ كل أقنوم بعمله، أي أنهم مـــتحدون في حياتهم، لكن لكل منهم دوره في العالم. لذلك يتوجب علينا جميعاً اكتشاف الثالوث القدوس في العالم المحيط بنا! ويعتقد الملحدون **أن التفكير والسعي في اكتشـــاف الله في العـــالم مـــؤذ للإنسان، لأنه يسعى للحصول على الضمانات في العالم. والعكس تماماً** يقوله لـــنا القديس أثناسيوس: **"فقط المؤمن وحده هو الذي يستطيع أن يتذوق العالم لأن الله أوجده"**. ويشبّه ما هو موجود بالعالم بألة موسيقية، بها عدة أوتار الواحد بجوار الآخر، عندما تبدأ استخدامها تستطيع أن تعرف وتسمع أفضـــل النغمات، لأن الثالوث القدوس قد خلق العالم وموجـــود فبه، أي خلقة ولم يتركه، وتوّجه بالإنسان. فعندما نفكر في الله الخالق للعالم نستطيع أن نعرف دور

الإنسان الذي يقوم به. ومجموعة من الورود تكون جميلة وخلابة للنظر في حد ذاتها، لكنها تأخذ دورها وطبيعتها العظمى عندما يقدمها شخص لآخر يحبه. ونعلم جيداً أن الله خلق العالم عبارة عن حديقة كبيرة، وترك الإنسان ابنه بالتبني ليفلح فيه. وبهذا يصبح جمال العالم الذي نحيا فيه أعظم عطية لنا من الله الآب، والابن والروح القدس.

الثالوث وسرّ الصليب:

تواجد في إحدى الرياضات الروحية شخص ممن عاشوا وعاصروا الحرب العالمية الثانية[٣٥]، وكان واحداً من المحتجزين في معسكرات الإعدام الجماعي التي أقامتها ألمانيا. ومع بداية أولى التأملات الروحية في الرياضة، موضوعها عن روعة وجمال العالم. وفجأة طرح هذا الشخص السؤال التالي بعد أن تنفس نفساً عميقاً: **هل هذا التأمل لنا نحن يا من رأينا وعاينّا أخطاء المعسكرات النازية الألمانية ضد العالم والإنسانية جمعاء؟**

وكان الرد على السؤال الذي طرح بهذه الطريقة :

---

٣٥ لقد كانت الحرب العامية الثانية في عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥، وفيها قامت ألمانيا بعمل معسكرات الإعدام الجماعي، بصفة خاصة لليهود والأعداء. هذه المعسكرات هي المقصودة هنا في هذا السياق (٢)

إن الخليقة عمل عظيم جداً من أعمال الله، الذي أظهــر فــيه بل وضع حبه منذ البداية، وهذا يمكننا أن نكتشــفة ونعرفه من خلال التاريخ الخاص بشعب الله، وتــاريخ قصة خلاص البشرية جمعاء والعالم. فهنا نجد العلاقــة بسر الصليب المقدس. لكن في الحقيقة كثير من اللاهوتيين اللذين يؤكدون على أن كل الخليقة هي عمل مشــترك، بل جماعي بين الأقانيم الإلهية الثلاثة. كذلك أيضــاً يؤكــدون على أن تحرير العالم وخلاصه مرتبط ارتباطاً جذرياً بسر الصليب المقدس الذي تحمَّله الابن، بسبب حبه للعالم وللخليقة جمعاء وللإنسان بصفة خاصة. ومن هؤلاء اللاهوتيين نذكر بعض المعاصرين وقد ذُكِرُ في الصفحات السابقة مثل: **مولتمان، فان بلتصر**.

مولــتمان، يــنطلق من مشكلة الإلحاد المعاصر، والــتي تنادي بإنكار الله، ويروي أتباع هذا المذهب أن الســبب الرئيســي هو عثرة الصليب. هنا نجد المشكلة نفسها وبنفس قوتها قد كانت سائدة في أيام المسيح ذاته مــع الــيهود. فالحقيقة المؤلمة التي كانت في معسكرات التعذيــب والإعدام الجماعي في طريقة الإعدام الجماعي المــنظم، كانــت توحــي وتشــير وتوكد للأشخاص الموجودين في هذه المعسكرات بعدم وجود الله! [**الدرجة**

أن أحد الفلاسفة قال: "إن الله يوجد خارج (أوتشويتس) أي معسكرات الإبادة الجماعية]. فما هو العائد على الإنسان نتيجة إيمانه بوجود الله في هذه الظروف، ولأنه لا يرى أي اهتمام من الله نحو العالم، بل يظل بعيداً في أشد اللحظات احتياجاً إليه!. لكن هنا يأتي دور الإيمان الذي نتعلمه من خلال حياتنا وممارساتنا الإيمانية، التي تحثنا على اهتمام الله بالعالم المحيط بنا، وتجعلنا نفكر أيضاً في العالم الأبدي. حتى وإن كنا نعاني كثيراً من **صعوبات** هذا العالم، كي نحظى وننال العالم الأفضل ونتنعم به. نذكر هنا ما قد كتبه **دوستويفكسي**[٣٦] في أحد رواياته الرائعة **"الإخوة كرموزف" أحد الإخوة في هذه القصة رفض أن يتسلم تذكرة دخول للملكوت، إذا كان ثمنها فقط دمعة من عيني طفل بري.**

---

٣٦ **دوستويفكسي** ولد في عام ١٨٢١ في مدينة موسكو بروسيا.ومن سن الثامنة عشرة قتل أباه بواسطة المزارعين، وقد أثر هذا الحادث عليه، وعلى كتاباته فيما بعد. كان لديه إعجاب شديد بالفلسفة وفي عام ١٨٤٦ كتب أول رواية له بعنوان "أناس فقيرة" ومن أهم رواياته "الأخوة كارامازوف" توفيّ عام ١٨٨١ (٢).

يرد مولتمان على هذا الرأي قائلاً: "**نحتاج لمعرفة العالم بطريقة أفضل، كذلك الله، والعلاقة بينهم**". فما هـــو العالم الذي نعيش فيه، وكيف نستطيع أن نقدره؟ فنجد العديد من الردود المختلفة على هذا السؤال، يجيب المـــلحدون إجابة سهلة وبسيطة وهي: **إن كل شيء في العـــالم يعـــتمد علينـــا، وعلى تنظيمنا له**. أما الأديان الأخرى غير المسيحية تجيب بهذه الكلمات، **يجب علينا أن لا ننتظر العدل والفرح الحقيقي في هذا العالم**. من هذه الإجابات، نستنتج أن هؤلاء ينتظرون حياة أفضل بعـــد الموت، حتى وإن لم يعبروا عنها بكلمات صريحة واضحة. لكن رسالة المسيحية توضح لنا ما هو أسمى من ذلـــك: أن المســـيح كان موجوداً عند بداية خلق العالم ومازال موجوداً فيه لأنه بكر كل خليقة "*هو صورة الله الذي لا يُرى وبكر كل خليقة*" (قو ١/ ١٥). به خُلقَتْ كلٌّ الأشياءِ "*هو قبل كل شيء وبه قوام كلِّ شيء*" (قو ١/ ١٧)؛ وكذلـــك: "*وأن يصـــالح به ومن أجله كل موجود مما في الأرض ومما في السموات وقد حقق السلام بـــدم صليبه*" (قو ١/ ٢٠). هكذا ستنتهي القصة "ومتى أخضـــع له كل شيء، فحينئذ يخضعُ الابن نفسه لذاك الذي أخضع له كل شيء، ليكون الله كلَّ شيءٍ في كل

شيء" (١كو ١٥/ ٢٨). بهذه الطريقة كيف يمكننا أن نفكـــر ونعتبر وننظر إلى العالم بطريقة إيجابية لأنه يحمل المسيح بداخله، بل الثالوث القدوس كاملاً يوجد فيه.

فـــبأي إله نحن نؤمن، هل نؤمن بإله الإلحاد؟ أم بإلـــه الأديان غير المسيحية؟: الذين يتوقعون وينتظرون العدل والمساواة في عالم آخر. أم نؤمن بإله على العكس تماماً من هذه الآلهة، الإله الذي دخل وتجسد في العالم، وكإلـــه وإنسان في ذات الوقت يقيم علاقة حية مع كل البشـــرية ومـــع العالم أيضاً. لهذا يتوجب علينا أن نحيا متحدين بالله حتى في أوقات الآلام التي نمر بها.

ابن الله يعيش الألم البشريّ:

إن كل ما يواجه الإنسان في حياته على الأرض، مـــن آلم وصـــعوبات مختلفة، حملها المسيح في شخصه القـــدوس، لأنـــه إن لم يكن حملها يصبح الإنسان بلا خـــلاص، لأن المســـيح شـــارك الإنسان أتعابه وآلامه بتجســـده واتخاذه صورةَ وطبيعةَ الإنسان. كما يعلمنا إيماننا وعقيدتنا المسيحية عن شخص المسيح، أنه المخلص الذي كان ينمو في الحكمة والقامة أمام الله والناس منذ طفولـــته. فقـــد كانت حياته منقسمة للحظات مختلفة ومتتابعة، منها الوقت الذي كان يقضيه في الهيكل، وقت

الصلاة الشخصية لأبيه أو مع تلاميذه، ووقت صنع الخير وشفاء المرضى. فكانت عينا أبيه **[أي الله الآب]** راعية له في كل ما يقوم به من أعمال في حياته الأرضية، وكان الروح القدس مؤيداً له، لذلك نستطيع أن نقول إن المسيح وهو على الأرض لم يكن منفصلاً عن علاقته الثالوثية. لأنه الابن الأزلي للآب الأزلي، **حتى في أشد اللحظات ألماً؟** فإذا كانت الحياة الإلهية قد تألمت آلاماً بشرية ودخلت فيها، فعلينا أن نحدد ونركز في معرفتنا لها وعلى الآلام التي مرت بها، حتى لا يصبح كلامنا منحازاً وغير صحيح. لأننا عندما نتحدث عن ألم المسيح نتذكر على التو واللحظة مجد الصليب وعظمته، ومن ناحية أخرى يقع فكرنا على الألم المسيح في الوقت ذاته. اللاهوتي الروسي **سيرجي بولجاكوف**[٣٧] **Sergej Bulgakov** وضح وشرح ما جاء في رسالة القديس

---

٣٧ **سيرجي بولجاكوف** ولد في مدينة ليفني بروسيا من عائلة مسيحية عام ١٨٧١، بعد صدمة إيمانية في مرحلة شبابه بدأ يدرس في موسكو، وفي عام ١٩٠٣ نشر مجموعة من كتبه عن "الماركسية والمثالية". في عام ١٩١٧ عاد إلى المسيحية مرة أخرى ونشر العديد من الأعمال. تركز فكره على الكرستولوجية، وهو لاهوتي غير تقليديّ. إنشاء معهد القديس سرجيوس للاهوت الأرثوذكسيّ في باريس في عام ١٩٢٥، حيث درّس فيه حتّى وفاته عام ١٩٤٤ (٢).

بولس إلى أهل فيلبي، عن تواضع وطاعة المسيح حتى النهاية فيما يخص الألم، "*بل تجرد من ذاته متخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر في هيئة إنسان فوضع نفسه وأطاع حتَّى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله إلى العلى ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الأسماء كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السموات وفي الأرض، وتحت الأرض ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب*" (فيليي ٢/ ٧- ١٠). وحسب الرأي المتفق عليه من الجميع، أن المسيح قد ذاق وعانى من الألم بطبيعته البشرية فقط، لأن الطبيعة الإلهية لا يمكن لها أن تتألم. وهذا حقاً ولا يمكن الجدال عليه، لكن علينا أن نكون منتبهين، أن **هذا لا يعني الانفصال بين طبيعتي المسيح المخلص الإلهية والبشرية**. لهذا السبب يوضح لنا **بولجاكوف** عدة معان في الحياة الباطنية المشتركة بين أقانيم الثالوث القدوس. فاذا كان يُقال إن الطبيعة الإلهية لا تتألم، فهذا لا يعني أنها لا تتأثر! لأننا عندما نتحدث عن موضوع **ألم الابن، يجب أن يكون حديثنا شاملاً للآب والروح القدس، لأنه لا يوجد إنفصال في الثالوث**، أعلم جيداً أن هذه التعاليم ربما تكون جديدة بالنسبة لنا، لذلك فهي صعبة جداً، لأن

الابن هو الذي عانى وذاق الألم، وأيضاً الآب والروح القـــدس، لكن بطريقة خفية سرية. كي نعي جيداً ألم البشـــرية علينا أن ننطلق من الله ذاته، لأن كل مراحل الألم التي مر بها المسيح **الإله/ الإنسان** تشابه آلم البشرية، ولا يمكنـــنا أن نـــتحدث عـــن ألم المسيح في موضعين مخـــتلفين، لأنـــه لا يوجد فصل بين الإلهي والبشري في شـــخص يســـوع المسيح. **لكن كيف يمكننا أن نتخيل الثالوث القدوس في السماء يتألم؟**

من الطبيعي أن نذكر الاختلافات الأساسية الآتية وهـــي: **في الســـماء يوجد الفرح الدائم، وفي الأرض يوجد الألم والصعوبات**، وعلينا أن نميز بينهما جيداً. غير متناســـين أن الله المثلـــث الأقانـــيم لديـــه القدرة على توحيدهما. نوضح الآن معنى الألم على هذه الأرض التي نحـــيا عليها، ونستخدم في الحياة العادية هذه الكلمات والـــتي تحوي بداخلها كل معاني الآلم، وهي مرتبطة به ارتـــباطاً قويـــاً "**إذلال، احتلال، خضوع، وغيرها من الكـــلمات التي تحمل المعنى نفسه**"، لأن الإنسان المتألم مـــن شخص آخر يفقد حريته وشخصيته أيضاً، ورباط المحبة بينه وبين الآخرين. **فما هي الحالة التي ستكون في السماء؟** لدينا المثل الأعلى لنا وهو خضوع الابن للآب

بكامل حريته، كذلك الإنسان الذي يمكنه أن يحب، رغم الصعوبات التي تواجهه من الآخرين، يحيا حقاً ملء حريته ومحبته وسعادته. لهذا السبب نتسائل: **كيف يمكن أن يكون لنفس الشيء الواحد هدفان واحد يصطحب من يحياه للحياة، وآخر للموت؟**. فنجد الرد على هذه المشكلة في الكتاب المقدس، الذي يوضح لنا أن **الموت، الألم، والعبودية، والعنف بسبب الخطيئة! وهنا** نواجه مشكلة أخرى: إن المسيح عاش هذا الألم وهو الذي لم يرتكب خطيئة. بل استطاع بعمله هذا أن يحول قوة الخطيئة المميتة إلى حياة، الألَم إلى تمجيد وفرح، إلى تطويبات. هذا ما يذكره **بولجاكوف** ويستطرد في شرحه بهذه الكلمات: **إن الحياة الإلهية في الثالوث قائمة على قوة العلاقة بين الأشخاص الثلاثة.هذه العلاقة هي علاقة الحب اللامحدود الآتي من التفاني والتواضع الداخلي لهم جميعاً**. أيضاً نكتشف ذلك إذا أمعنا النظر جيداً في الحياة الداخلية الباطنية للثالوث، منذ بداية قصة الخليقة وحتى مجيء المسيح، الذي من خلاله الله لم يُرد أن يكون بعيداً عن الإنسان والعالم الذي خلقه. بتجسد الابن صار **الإنسان/ الإله** وتحمل ألم البشر نتجة سقوط الإنسان. وقد جعل الهوة التي بين الطبيعة البشرية والإلهية

مكاناً يحمل عليه صليبه حتى يستعيد ما قد هلك، لذلك تـــألم، ولذلـــك يمكننا القول بأن الإله الإنسان قد تألم وتعذب كي يمحو خطيئة العالم.

مـــن هـــذا المنطلق يمكننا أن نقول: "**إن ابن الله الوحـــيد يســـوع المسيح قد حمل بهجة الحياة الإلهية وقدمها للعالم أجمع حيث يوجد الألم والعبودية**" من الآن فصاعد "*طوبى لفقراء الروح فإن لهم ملكوت السموات. طـــوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض. طوبى للمحزونين، فـــإنهم يعـــزون. طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشـــبعون. طوبى للرحماء، فإنهم يرحمون. طوبى لأطهار القلوب فإنهم يشاهدون الله. طوبى للساعين إلى السلام فـــإنهم أبناء الله يدعون....*" (مت ٥/ ٣..). ويصبح بذلـــك صـــليب المسيح عملاً مصحوباً بالعناية الإلهية للـــثالوث القدوس، وقام بتنفيذه الابن الذي أحبنا وقدم ذاته لأجلنا، "*فما أنا أحيا بعد ذلك، بل المسيح يحيا فيّ. وإذا كنت أحيا الآن حياة بشرية، فإني أحياها في الإيمان بـــابن الله الذي أحبني وجاد بنفسه من أجلي*" (غلا ٢/ ٢٠). في ذات الوقت نجد الآب، "*إن الذي لم يضنّ بابنه نفســـه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً، كيف لا يهب لنا معه كلّ شيء؟*" (رومية ٨/ ٣٢). في اللحظة

نفسـها، الابن يصرخ قائلاً: "*وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة، وقال: ألوي ألوي، لماذا شبقتاني؟*" (مر ١٥/ ٣٤). وهنا يبدوا لنا لأول وهلة أن الآب قد تخلى عن ابنه، لكن حاشا لنا أن نفكر في هذا، لأن الآب لم يـتخلَّ عن ذاته الموجود في الابن، بل كان مهتماً به وحافظـاً له مثل حدقة عينيه، هذا هو الاتحاد الحقيقي الموجود بين الآب والابن.

الآن نـرى دور الروح القدس على الصليب، أن صراخ يسوع المسيح على الصليب، "*فلما تناول يسوع الخـل قال: "تم كل شيء" ثم حنى رأسه وأسلم الروح*" (يوحـنا ١٩/ ٣٠) هذه هي الترجمة الحديثة، لكن آباء الكنيسة يحبون أكثر الرجوع إليها في اللغة اللاتينية، لأنها ذات معنى قوي وعميق، لقد كان الروح القدس مرافقاً للمسيح لحظة بلحظة، ولقد أرسله المسيح ذاته للرسل. وانفصـاله عن الابن يعني أن الروح القدس يتخلى عن دوره الأساسـي في حياة الثالوث، وهو الاتحاد والعلاقة بين الآب والابن. هذا شرح مبسط، ولا يجب علينا أن نبحث عن الأدلة العلمية كما يحدث في زماننا، لأننا أمام سـر عظيم للغاية. في الوقت نفسه علينا أن لا ننسى أن يسوع المسيح حُبِلَ به من الروح القدس المحيي. في لحظة

مـــوت المسيح على الصليب كان على الروح القدس أن يتخـــلى عن صفة أساسية من صفاتة "**النور**" "*فصارت ظلمة على الأرض كلها*" (مت ٢٧/ ٤٥). نعرف تمام المعرفة، أن هناك العديد والعديد ممن لا يعجبون بتأملات النســاك، ويعتــبروها مجاذفة كبرى: **أنه من خلال سر التجســد تظهر ملء الحياة الإلهية للثالوث القدوس، الـــذي يظهر متخذاً صورة بشرية جسدية، من لحظة الميلاد حتى الموت**. ومن هذا المنطلق عبر إيفاجرو قائلاً: "**إن الصلاة القائمة على الحوار بين الإنسان والثالوث تجعله قادراً على اكتشافه في الحياة ونصبح قادرين على أن نعرف كيف نحاوره**". لأن كل صلاة يجب أن تكون موجهه للثالوث في طبيعتها، حتى وأن كنا نخاطب الآب، أو الابن، أو الروح القدس، لأن حياهم متحدة وعلينا أن نعـــرف هذا جيداً. أيضاً إذا أردنا أن نكتشف قوة ألم المسيح من خلال الصليب، علينا أن نتفحص جيداً العهد الجديـــد، الذي يوضح لنا كيف تألم ليس الابن فقط بل الـــروح القـــدس والآب بطريقة غير علنية كما ذكرت ســـابقاً. **أيضاً أن ألم الثالوث الآن وصليبه الثقيل هو الإلحـــاد المعاصـــر والبعد عن المسيح وعدم تبعيته في الحـــياة والإيمـــان بـــه، لذلك لن نخشى أن نقول إن الثالوث مازال يتألم حتى يومنا هذا.**

الفصل الخامس

انعكاس الثالوث

في حياة الكنيسة

الكنيسة:

يقـــدم لنا آباء الكنيسة شرحاً لاهوتياً للكنيسة تم تعمـــيقه في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[٣٨] وهو: إن **الكنيســـة تمـــثل الانعكاس الحقيقي لحضور الثالوث القـــدوس، موضحاً هذه الرؤية على أنها عمل جماعي للأقانيم الثلاثة، وعنصر العمل الأساسي والجوهري هو الخـــلاص على حسب المبدأ أو الهدف العام والآتي من الله الآب، عـــن طريق الابن، بالروح القدس.** أما نحن فهدفـــنا الأول في مثل جميع الحالات الأخرى يقوم على تعميق الجانب المسيحاني، أي ما هو مختص بالمسيح، لأن الكنيســـة هـــي امتداد له عبر القرون، فيقول القديس أوغسطينس في ذلك: "**المسيح هو الرأس، والمؤمنون هم الأعضـــاء اللذين يشكلون حقيقة واحدة وهي المسيح الكـــامل**". ويحدثـــنا أيضـــاً عن ذلك المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، بصفة خاصة في وثيقة نور الأمم رقم ٨، والتي يشرح فيها الرباط الأساسي لهذه الوحدة النابع من

---

٣٨ عُقد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في سنة ١٩٦٢، وقد نادى بانعقاد هذا المجمع الطوباوي البابا يوحنا الثالث والعشرون، وقد وافته المنية أثناء انعقاد المجمع، وقد أُكملت أعمال المجمع في عهد البابا بولس السادس الذي خلف البابا يوحنا الثالث والعشرين وانتهى العمل به عام ١٩٦٥ (١)

سرّ الإفخارستيا، أي جسد المسيح السري. كذلك يقول اللاهـوتي **هـنري دي لوباك**[٣٩] **H.DE LUBAC** عبارته الشهيرة في هذا المجال فيقول:"**تحتفل الكنيسة بسر الإفخارستيا، لكن الإفخارستيا تعمل الكنيسة**". البعد المسيحاني أي ما هو خاص بالمسيح لا يجعلنا ننسى البعد الإنساني، لهذا يكون جسد المسيح حياً مؤيداً بقوة الروح القـدس، وهـذا ذُكـر مرة أخرى في المجمع المسكوني الفاتـيكاني الثاني، في الوثيقة نفسها نور الأمم رقم ٧، **حيـث يذكر لنا أن الروح القدس يؤيد ويحيي الرأس والأعضـاء أيضاً ويوحدهم، كذلك بالنسبة للكنيسة يمكنـنا أن نقـول، جسد واحد والروح القدس هو الروح المشترك بين الجميع.**

---

٣٩ هنري دي لوباك، (١٨٩٦- ١٩٩١)، راهب يسوعي. عمل مستشاراً للجنة اللاهوتية الخاصة لإعداد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، كذلك كان بمثابة الخبير اللاهوتي. ومُنح رتبة الكاردينالية عام ١٩٨٣. ينصب فكره اللاهوتي ويتركز على، محاولة الوصول لحقيقة السر عن طريق اللاهوت النظري، وهو كان متعمقاً جداً في هذا المجال (٢).

يُعـــرف أحد اللاهوتيين الألمان **هربرت ملهلن**[٤٠] **HERIBRT Mulhlen**، الـــروح القدس كما لو أنه شخص في جماعة عديدة من الأشخاص، وعمله هو توحيد الجميع لأنه المشترك بين الجميع. كذلك يشرح لنا اللاهوت المسيحي منذ بدايته (أي اللاهوت اليهودي - المســيحي) ويوضـــح عمل الرب مستشهداً بما جاء في الكـــتاب المقـــدس، على أن الكنيسة هي كرم وغرس الآب، ومـــن خـــلال الانعكاس الثلاثي للأقانيم الإلهية نشأت الكنيسة التي نشأت من وحيهم. نعرف أيضاً أن في السياق الكتابي: الجسد يعني الحقيقة المرئية المعبرة عما هو غير مرئي وأصبح مرئياً. وفي موضوعنا هذا، الحقيقة غير المرئية هي وحدة الأقانيم الإلهية (آب، ابن، والروح القدس)، تساعدنا على رؤية وحدة الكنيسة الواحدة مع اختلاف الأشخاص الموجودين بها والتابعين لها، وهكذا ايضاً ما كتبه القديس يوحنا في رسالته الأولى مستخدماً

---

٤٠ هربرت ملهلن ولد في عام ١٩٢٧ بالمانيا. حصل على درجة الدكتوراة في الفلســفة واللاهــوت. وقد اطلق عليه البابا بولس السادس لقب خبير المجمــع المسكوني الفاتيكاني الثاني. ينصب فكره اللاهوتي بصفة خاصة على. كيفية إظهار العلاقة بين الروح القدس والكنيسة من منطلق كتابي وعقائدي، وكان بارعاً جداً في ذلك (٢).

الضمير "**نحن**" ١ يو ١/٣. كذلك نجد في تعاليم القديس باسيليوس عن قبول الرسامة الأسقفية للمتقدمين لها، موضحاً هذه التعاليم على أنها عقيدة هامة فيقول:"**على المتقدم لنوال هذه الدرجة أن يؤمن كل الإيمان بأن المعجزة الحقيقة للروح القدس في حلوله يوم العنصرة، هي تأسيس الكنيسة الأولى حقيقياً وفعلياً في أورشليم، مستشهداً في ذلك بسفر أعمال الرسل** "*وكانت جماعة المؤمنين قلباً واحداً ونفساً واحدة*" (أع ٤/٣٢). هذه الآية تعني أنه لم يكن هناك انقسام بين المؤمنين، ولا ابتعاد بين الشخص وإخوته الآخرين، هكذا كان اعتمادهم جميعاً في كل شيء حتى إذا كانوا كثيرين، لكن وحدتهم كانت تكمن في القلب الواحد والمحبة الكاملة، التي بدونها لا يتم أي عمل. على أي حال يمكننا أنْ نشرح الأيقونة الشهيرة **لأندريا روبلف** والموجودة في دير الثالوث القدوس، وهي تمثل النموذج للمعايشة الجماعية للراهبات، ففي هذه اللوحة نجد الملائكة الثلاثة جالسين على المستوى نفسه، وأمامهم كأس واحدة، وهم يرمزون إلى الأقانيم الثلاثة المتحدين في الإرادة والمعرفة والطبيعة.

إن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في تعاليمه عن الكنيسة، يُفضِّلُ استخدام المصطلح "**شعب الله**" في مقابل استخدام الكتاب المقدس والتقليد للمصطلح "**جسد المسيح السري**"، فإنه لم يستخدم هذا المصطلح للتقليل من الأول، أو ليوضح عدم وحدة الكنيسة، إنما جاء استخدامه وتفضيله لهذا المصطلح "**شعب الله**" لتوضيح أن هذه الوحدة لم تؤسس على الأعضاء المؤمنين فقط، بل من أشخاص أحياء، أحرار يستمدون وحدتهم ليس من الحياة الاجتماعية المعاشة فقط، بل وحدتهم مدعمة ومستمدة ومتصلة في غايتها بالحياة الثالوثية الإلهية. استخدام المجمع الفاتيكاني الثاني مصطلحاً آخر "**الجماعية**" وليس المقصود بهذا المصطلح هنا المعنى القانوني، أو السلطة، لكن المقصود به توضيح الرغبة في العلاقة الشخصية داخل النظام والعلاقة الجماعية، وبهذا تتضح قوة ومعنى وأهمية الكنيسة المحلية داخل الكنيسة الجامعة العالمية، لأنه بهذا المثل يشرح العلاقة على أنها علاقة أسرية اتحادية سرمدية. فقد عَبَّرَ عن ذلك وشعر به جيداً القديس باسليوس الذي اعتبر العلاقة الجماعية الرهبانية، عبارة عن علاقة مثالية في محدوديتها، مطبقاً هذا على حياة الكنيسة في كل ما تعمل وتعيش.

الشـــيوعية! لها وجهة نظر جديدة في شرح أحد العناصـــر القديمة، وهي أن الكنيسة في المقام الأول وفي جوهرها متحدة بالروح القدس، حتى وإن كانت منقادة اجتماعـــياً من قيادتها ومسئوليها؛ الطريقة نفسها علاقة الـــنفس بالجسد، وحتى العلاقات الشخصية تبدأ جميعها مـــن مثل هذا المنطلق حتى تصل إلى الاتحاد الوثيق، أي المـــنطلق الاجتماعي للوصول إلى ما هو أسمى وأعمق، عابرين كل ما يعترضهم من الناحية القيادية ومتقبلين إياه في سبيل هدفهم. وعلى المستوى الخلاصي لكل المجتمع الإنساني، علينا أن نسير كي نصل إلى الكنيسة الواحدة الـــتي تعكـــس الســـر الثالوثي في عالمنا. يوضح **باول فلورنسكي** ذلك مع استخدام عقائدي قد ظهر هذا في المناقشـــات الخاصـــة بشخصية وطبيعة المسيح "***ابن الله مساويا للآب***، *أي* **HOMOAUSIAS** *واحد مع الآب، وبهذا طبيعي على جميع البشر أن يشعروا في ذواتهم أنهـــم شـــيء واحد مثل الآب والابن*" (يو ١٧/ ٢٠). ولكـــن علينـــا أن نضـــع في الاعتبار عدم الخلط بين المصطلحات، أن نكون متشابهين ومتساوين وإن كانت لنا نفس حقوق القوانين البشرية، وعلينا نفس الواجبات، نواجه الصعوبة كامنة في إعلان الحقوق الإنسانية في بعض

المجتمعات العالمية، التي ليس لها وعي كافٍ بالسر الثالوثي أي المسيحية الحديثة في هذه البلاد، وهنا يمكننا أن نذكر المثل الشهير لأحد اللاهوتيين الذي يقول "**في الجحيم الأبدي كل شخص يحاسب عن نفسه وسيكون وحيداً، أما في الحياة الأبدية سنكون مشتركين معاً في كل شئ، لأن الخلاص وحده في الله الواحد المثلث الأقانيم**".

الأســرار:

علينا أن نعرف أن العنصر الأساسي والجوهري، هو أن الكنيسة تقدس العالم من خلال مواصلتها الاحتفال بالأسرار المقدسة، فالكنيسة تعمل باسم المسيح، وبقوة الروح القدس، وفي داخلها تحمل وتظهر شخصية الثالوث القدوس. الأسرار فتمثل جزءاً هاماً من العالم، لأن الماديات المستخدمة فيها تصل بنا إلى الاعتراف المسيحي عندما يصير الله الكل في الكل(١ كو ١٥/ ٢٨). ولهذه الخاصية تعمل أيضاً الكنيسة باسم المسيح، فمثلاً في سرّ العماد "**أعمدك يا فلان**"، وفي سرّ المصالحة "**أحلك من خطاياك**"، وفي سرّ الإفخارستيا "**هذا هو جسدي...**"، وكل هذا يتم بقوة الروح القدس، وجميع الصلوات الخاصة بالأسرار هي صلوات

نابعة من الله الآب في جوهرها. **فسرّ العماد** يأخذ الشكل **الثالوثي**، بقول الكاهن خادم السر: "**أعمدك يافلان باسم الآب، والابن، والروح القدس**". كذلك علينا أن نعلم جيداً أن أول وأصل جميع الطقوس في المسيحية، هو عماد المسيح ذاته، ورسومات الأيقونة الخاصة بذلك تجسد لنا الوحي الثالوثي، والصورة الثالوثية في عماد المسيح قوية المعنى، لأنها تدل على عمق وترابط الثالوث، **لأن الله الآب يعترف بالمسيح على أنه ابنه الحبيب، والروح القدس يظهر على شكل حمامة، كذلك نحن بسر العماد نصبح جميعاً أبناء الله بالتبني، نقبل ونتمتع بالحياة الجديدة في الروح القدس، نحن مع المسيح كما يذكر لنا القديس بولس في رسالته إلى أهل رومية ٦/ ٣-٤** أنْ نكون متحدين بالمسيح في موته رمزياً من خلال تغطيسنا في الماء أثناء العماد.

فإذا كان العنصر المسيحاني في سرّ العماد هو التغطيس في الماء، يظهر العنصر الخارجي جلياً في سرّ التثبيت **[سرّ الميرون]**، وهذا هو تقليد الكنيسة الأولى المستمر حتى يومنا هذا، فيعتبرون هذا السر رمزاً للاحتفال وقبول الروح القدس حقيقياً. وقد كتب

القديس كيرلس الأورشليمي[41] عن هذا السر وقال:"**عليك أن تنتبه، لا تنال رائحة عطور فقط، لأنه عندما يتم استدعاء الروح القدس في سر التثبيت، لم تصبح بعد رائحة عطور، بل هي عطية وهبة من المسيح ذاته، بواسطة حضور الروح القدس الذي يسمح لها أن تدخل في عمق كياننا بألوهيته، وهذه الرائحة نستطيع أن نقارنها بأشياء أخر، فبهذه الرائحة المرئية يدهن الجسد، لكن كل ما هو غير مرئي في ذلك هو تقديس النفس بواسطة الروح القدس، كما تم ووعد يوحنا المعمدان** (لو٣/ ١٦).

وفي سرّ **الإفخارستيا** نجد الحضور الأول للمسيح من خلال جسده وتضحيته على الصليب، وهذا واضح في الصلوات الخاصة بالقداس. لذلك تصبح وحدتنا الجوهرية في المسيح يسوع، العنصرَ الأساسيَ ذى الشخصية الموحدة في التناول الإفخارستي. وبهذا نستطيع

---

٤١ **كيرلس الأورشليميّ** وُلد في حوالي ٣١٥ وأُقيم أُسقفاً على أورشليم في ٣٤٨. نُفي مرّتين بسبب معارضته للأريوسيّة. اشتهر خاصّة بـ "التعاليم العماديّة" التي ألقاها في أورشليم في حوالى ٣٥٠. ومن المعلوم أنّ النقّاد ينسبون اليوم إلى خليفته يوحنّا الأورشليميّ التعاليم الخمسة الأخيرة، وهي "التاليم المستاغوجيّة" [تدل هذه العبارة على الشرح اللاهوتي والرمزي لرتب التدرج الطقسي]. توفّي في ٣٨٧ (١).

أن نعـــدّ أنفسنا جيداً للصلاة الربانية التي توحدنا جميعاً أمام الله الآب، وفي هذا المضمون يقول المسيح ذاته على لسان القديس يوحنا: *"أنا هو خبز الحياة"*، هنا يكشف عن دور الله الآب من خلال القول: إن الآب يعطي الخبز الحقيقي من السماء، أي خبز الحياة، أي المسيح ذاته الآتي مـــن قبل الله الآب (يو٦/ ٤٨). ويؤكد القديس يوحنا على نفس المعنى فيقول *"الروح الذي يحيي"* (يو٦/ ٦٣)، هـــنا الضـــمير المستخدم يعود على الروح القدس الذي يصـــطحب البشرية جمعا ويقودها إلى المسيح من خلال جسده السري، أي يعطيها الحياة الإلهية.

هـــناك عنصر هام وأساسي في هذا المضمون في جمـــيع الطقـــوس الشرقية، وهو صلاة استدعاء الروح القدس حتي يقدس التقدمات الموضوعة **[الخبز والخمر]** في الإفخارستيا. **يحل الروح القدس على هذه القرابين وعليـــنا نحن**، وكذلك نجد الصلاة الموجهة للآب حتى يرسل الروح القدس "**نمجدك ونسبحك، يا الله الرحيم، ونطلـــب مـــنك أن ترسل روحك القدوس على هذه القـــرابين، المعبرة عن وجودك، حتى يصير هذا الخبزُ جسدَ المسيح، وهذا الخمرُ دمَ المسيح**"، فكل ما يُمس مـــن الروح يصير مقدساً كلياً وجوهرياً، هذه العناصر

نجدهـــا أيضـــاً في تعاليم آباء الكنيسة والتقليد، وقد تم الرجوع إليها والتعمق فيها أثناء انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عند الحديث عن سرّ الإفخارستيا، فذُكر "**مـــن أجل الاشتراك في جسد الرب ودمه، علينا أن نشرح ونعلّم هبة وعطية الروح القدس لجميع المؤمنين على أنها ينبوع وماء الحياة الأبدية**" وهو تقريباً ما كتبه القديـــس يوحنا: *"وفي آخر يومٍ من العيد، وهو أعظم أيامـــه، وقف يسوع ورفع صوته قال: "إن عطش أحدٌ فليقبل إليّ ومن آمن بي فليشرب كما ورد في الكتاب: ستجري مـــن جوفه أنهارٌ من الماء الحيّ. وأراد بقوله الروح الذي سيناله المومنون به، فلم يكن هناك بعد من روح، لأن يســـوع لم يكن قد مجد"* (يو ٧/ ٣٧- ٣٩) لأن ماتسلمناه على أنه سر ومع الاشتراك الروحي، أي بالإيمان الحي العامل الذي ينمو من خلال الحب.

الخبز والخمر المستخدمان في تقدمة القداس **هما من ثمـــار الأرض وعمـــل الإنسان**، لذلك السبب تدخل الطبـــيعة الدنيوية في الحياة الإلهية. ففي إحدى الكنائس البيزنطـــية، إحدى أيقونات الثالوث الرائعه، ربما يكون شرحها هنا مناسباً لتوضيح الهدف، نجد في هذه الأيقونة **أن جميع خطوط الرسم داخلها لا تأتي من الخلف، بل**

كلها تأتي من الأمام وتتلاقى جميعاً في منتصف الهيكل حيث تقام الإفخارستيا. المعنى هنا قوي وهو أن الحياة الإلهية للثالوث القدوس **تظهر لنا على أنها سرّ**، وعن طريق النعم المفاضة منه يتقدس الخبز والخمر. ولا يغفل علينا ولا يغيب عن بالنا وتفكيرنا كأن الصلاة الخاصة بسرّ الإفخارستيا في جميع الطقوس باختصار، تُظهِر لنا الحياة الثالوثية، فمثلاً في الطقس اللاتيني تختتم هذه الصلاة بالقول "**من أجل المسيح ومع المسيح وفي المسيح بالله العظيم الأبدي وفي الاتحاد بالروح القدس**".

الفصل السادس

الثالوث والعائلة

الــزواج :

دُشنت إحدى الكنائس في إقليم **بافاريا**[٤٢]، تحت اســم العائلــة المقدسة،ووضع فوق باها أيقونة ليسوع ومريم العذراء، والقديس يوسف، وكُتبت عبارة بجوارهم تقــول "**الثالوث على الأرض**". يعتبر الزواج المسيحي كنيسة صغيرة، لذلك عليه أن يكشف الانعكاس الحقيقي لحــياة الثالوث الإلهي المقدس، فأول هذه المظاهر عندما نقــرأ سفر التكوين، وهو يروي لنا قصة خلق الإنسان الأول عــلى صورة الله ومثاله (تك١: ١٦، ٢٧)، وقد كتــب آبــاء الكنيســة العديد والعديد من التعليقات والشــروحات الهامــة على هذا النص، والتي تخص علم الإنسان، ومع ذلك لم يكن شرحهم للنص وافي المعنى، لأنه في تك ١: ٢٦ يقول *"نعمل الإنسان على صورتنا كمثالــنا وليتســلط عــلى أسماك البحر وطيور السماء والــبهائم وجمــيع الحيوانات التي تدب على الأرض"*. وبكــلمة أخرى أصبح الإنسان سيد العالم، لأن الله قد تَوَّجَهُ عليه، ولأنه مخلوق على صورة الله ومثال الخالق، لكن في تك ١: ٢٧، ٨ يقول: *"فخلق الله الإنسان على*

---

٤٢ يوجد أقليم بافاريا في إحدى المدن الكبرى بألمانيا (٢).

صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: "انموا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على أسماك البحر وطيور السماء وكل حيوان يدب على الأرض". هنا يعيد إلينا التفكير بكلمات من خلالها تتجلى صورة الإنسان واضحة جلية، كمخلوق على **صورة الله ومثاله، وبصفة خاصة في حياة الأسرة التي هي قلب ومركز المجتمع البشري.**

ولقد كان من الواضح لآباء الكنيسة، وبصفة خاصة الرهبان الذين يعيشون حياة التبتل، فلم يتحدثوا كثيراً عن الزواج، لكن البعض منهم قاموا بتقديم بعض الشروحات، مثل يوحنا ذهبي الفم وباختصار يتبع الطريق المعروف، ويقول كلنا متشابهون متساوون في عملية الخلق [**أي خلق الإنسان الأول**]، وفي الحقيقة وإن كنا متساوين ومتشابهين، إلا إننا نلاحظ الكثير من الاختلافات في العالم، لكن السؤال **من أين تأتي هذه الاختلافات؟ الفرق بين الأغنياء والفقراء، الخطيئة الأصلية والأنانية**، علينا أن نبحث لفصلهما، أما الفرق بين الجنسين **رجالا ونساء فهو صادر من الله ذاته،**

لذلك يتساءل **يوحنّا الذهبيّ الفم**[٤٣] ويقول: "**لماذا ميَّز الله الإنسان الأول هكذا؟** فنجد **إجابته على هذا السؤال نابعة من فكره الروحي** فيقول: "**إن الله وحّد الإنسان مرة أخرى في الزواج، أي جعله واحداً في الواحد الأعلى الله، لأن الوحدة في الحب الزوجي تكون بمثابة انعكاس للحب الإلهي، والكاتب لم يوضح الغرض من ذلك، لكن يمكننا بسهول أن نقول: "إن الحب الإلهي هو حب بين أشخاص، كذلك الحب المتجسد في سر الزواج**". هذه الخاتمة كانت بمثابة تثبيت لما وصل إليه المحلل النفسي الديني **فلاديمير سولوفيوف**، الذي يسأل في أي لحظة في الحياة يأتي قريبنا لنتعرف عليه كشخص بما تحمله هذه الكلمة من معنى حقيقي وجوهري، ويكون الشخص مقتنعاً تماماً بما قام به من

---

٤٣ **يوحنّا الذهبيّ الفم** وُلد في أنطاكية وتلقّى فيها تنشئته اللاهوتيّة. رُسم كاهناً في ٣٨٦، فانصرف إلى الوعظ في أنطاكية، قبل أن يصبح أسقف القسطنطينيّة في ٣٩٨. عُزل في ٤٠٣ على أثر الدسائس التي دسّها ثيوفيلس الإسكندريّ، وتوفّي في المنفى في ٤٠٧. أولته أعماله الأدبيّة مكانة طليعيّة عند آباء الكنيسة، بصفته كاتباً أخلاقياً ومفسّراً. من هذه الأعمال، "رسائل إلى أولمبياس"، ومقالات روحانيّة وأخلاقيّة ("في الكهنوت")، ولا سيّما الكثير من المواعظ، وسلاسل طويلة في تفسير إنجيل متّى ويوحنّا ورسائل القدّيس بولس. استحقّ ببراعته الخارقة في الكلام أن يلقّب بـ "الذهبيّ الفم" (١).

عمـــل، ويعـــبر عن حبه هذا في لحظة ما، وهي اعترافه بالآخر كشخص، ويقدم لنا بعض الأمثلة على ذلك:

١. يعيش الشاب بطريقة تلقائية مع الآخرين، كواحد في خلية من النحل، أو كواحد في مجموعة تلقائية من الحيوانات، يستفيد منها بدون حضور تفكيره بصورة قوية، أي بقليل من التركيز.

٢. نجد الفتاة التي تريد أن تقيم علاقة حميمة مع أحد الشباب، تحاول دائماً أنْ تظهر نفسها، إنها الفتاة الأكـــثر جمـــالاً من الجميع، والأكثر رفعة، وهي مســـتعدة دائمـــاً أن تضحي لأجله، وتتعهد له بذلك، وتعبر عن رغبتها في الحب له حتى الموت، فنجد مخططاتها هذه تأتي من أحلام الشباب الأولى غير المدروسة بالقدر الكافي.

يـــرى ســـولوفيوف في هذا الرمز أنه مجال أكثر حرية، حيث تكون الحقيقة الكامنة للزواج، **هو أن تعتبر الشخص الآخر مستحقاً للعلو والتقدير في المعرفة**، لأن الـــتقدم والـــنجاح في حياة الشخصية يعتمد كثيراً على إخلاصـــه في عمـــق علاقته مع الآخر [**أي شريكه في الحـــياة**]، وفي اتحادهما الذي لا يمكن محوه وإزالته، فمن هنا منبع وظهورالهدف الأساسي للزواج، وهو يجب أن

يكون مصحوباً بنمو للشخص في **وحدته بالآخر وحبه له كنفسه**. ويذكر لنا المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، عـــن الحـــب الزوجي ويقول: "**هو تعود الإنسان على الســـمو**"، ولـــيس على حد الغريزة فقط، والتعريفات النظرية فقط، بل يحب الشخصُ الآخرَ ليجد نفسه فيه، مـــن خلال هذا الحب المتبادل ورغبته الشخصية، وأيضاً في العلاقـــة التي تنبع من خلالها بنفس المعنى وبما تتضمنه من معانٍ أُخر.

إن عالم اليوم لا يريد أن يقرأ نص القديس بولس (أفســـس ٥: ٢٢) الذي يقول: "*لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة التي هي جسده وهو مخلصـــها*"، فيتضـــح لنا من خلال هذا النص يجب على المـــرأة أن تكون تحت قيادة زوجها، ممثلاً بذلك المسيح والكنيسة، فتنشأ هنا إساءة فهم للكلمة "**رئيس**"، فتأخذ معـــناها التفسيري الدنيوي الحرفي البحت، فتأخذ معنى الســـيطرة. ويوضح لنا سفر التكوين أن سيطرة الرجل على المرأة كانت من تأثير مفعول الخطيئة، ويقول الرب لـــلمرأة في تك ٣: ١٦: "*وقال للمرأة لأكثرن مشقات حملـــك تكثيراً فبالمشقة تلدين البنين، وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهو يسودك*"، لكن هذه الطريق في روح النص

خاطـــئة، إذ نريد أن نمثلها بحياة الثالوث، لأن الله الآب هـــو الـــرأس، **صاحب المبادرة الأولى في صورة الابن،** الابن الذي يقبل هذا ولايعارض إرادة الآب، ومع ذلك لا يفقـــد مبادرته، لأن الآب يستجيب للابن دائماً (يو ١١: ٤٢)، فهـــنا يـــريد أن يوضح لنا انعكاس العلاقة الاجتماعية بين الأشخاص المتزوجين هو انعكاس تبادلي، **أمـــا الوحدة في الزواج فهي وحدة سرمدية،** وليست مؤسســـة في جوهـــرها على القانون والمظاهر الخارجية فقـــط، إنما قدرتما على التعبير الباطني القوي تأتيها من الـــرباط الزوجي، وهو نفس الكلام الذي سبق وذكرته وليس أكثر وإنما يتطلب الإعادة بصورة أخرى.

تنبع في الثالوث القدوس نتيجة العلاقة بين شخصين، **الشخصيةُ الثالثة،** ولهذا السبب فإن اللاهوتيين يشبهون الـــثالوث القدوس **بالزواج المخصب،** ويذكر لنا أحد الكّتاب في هذا المجال قائلاً: "**حسب هدف الخالق، يجب عـــلى الـــرجل والمرأة أن يتحدا معاً اتحاداً قوياً، حتى يصبحا حقاً جسداً واحداً نتيجة هذا الاتحاد، وتصبح حـــياتهما واحـــدة في كل ما يعملانه، وتنتج من ثمرة اتحادهمـــا رغبة في أن يصبحا ثلاثة أشخاص بدلاً من اثنين**".

بعد أن عرضنا هذه الفكرة عن الثالوث، يمكننا أن نشرحها بهذا التشبيه:

- **رب الأسرة = الله الآب**
- **الزوجة = الابن،**
- **الأبناء = الروح القدس، لأنهم نتيجة الحب بين الأب والأم فهم يأتون نتيجة علاقة الحب المصحوب بالحياة الروحية.** ففي هذه النقطة أقدم شرحاً بسيطاً ورمزياً، نفس نقطة الانطلاق السابقة التي تحدثنا عنها، فإذا كنا نقول:

الأب في الأسرة = الله الآب، والأطفال = الابن، والمرأة وهي التي توحد الأسرة = الروح القدس، لأننا نجد كلمة روح بصفة خاصة في اللغة العبرية مؤنثة، وأيضاً في الكتابات المسيحية القديمة مثل: السريانية والسامية نجد هذه العبارة: "**الروح القدس الأم**" أما اللاهوتي الشرقي الشهير **بول إفدوكيموف**[٤٤] نجده يقدم

---

٤٤ **بول إفدوكيموف** لاهوتي روسي أرثوذكسي ولد في بطرسبورج عام ١٩٠٥، من عائلة نبيلة. ترك روسيا بعد ثورة ١٩١٧ إلى باريس حيث درس في السوربون وفي معهد القديس سرجيوس. أهتم كثيراً بالحوار المسكوني بين الكنائس، وكان أحد المراقبين في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني توفيَّ عام ١٩٧٠ (١).

لنا تشبيهاً آخر وهو يشبه الله الآب بالأم، **لأن الأم هي التي تنجب الأطفال على الأرض، كما أن الآب أنشأ الابن في السماء، أي ولد الابن.**

الزواج والكنيسة:

بعد زمن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني مباشرة، والذي احتل فيه موضوع تجديد الليتورجية مكانة هامة، نجـــد أحد الرعاة الفرنسيين يقول: "**يجب أن ألا نحتفل بســـر الـــزواج في الكنيســـة لكن نحتفل به في مكان الزوجـــية، أي بيت العروسين**"، وقد أوضح الهدف من فكرته هذه هي أن يجب على الجميع أن يعرفوا أن الرباط الـــزوجي هو شيء مقدس، فتلاحظ أن عرضه لفكرته هـــذه صحيح وواضح، أما التطبيق لها غير ملائم، **لأننا نحـــتفل بســـر الـــزواج في الكنيسة كي يعرف كلا العروسين أن اتحادهما اتحاد مقدس.**

سبق وذكرت أن الزواج هو إحدى الطرق لاتحاد الأشـــخاص، ولا يجب أن يكون كحاجة خاصة، لكن نـــرى ذلـــك يُدعّـــم مـــن المصالح والهيئات الحكومية الاجتماعـــية الـــتي تعطـــيه القوة والرسوخ من المنطلق الاجـــتماعي، في نظر المجتمع والناس. ومع ذلك، العائلةُ

خصوصاً في هذا المجال هي إحدى الظواهر الاجتماعية العامة، وهذا طبيعي جداً وكامل لأنها نظمت من قبل الهيئة القانونية، لكن الزواج يطبع حالة حرة طبيعية فطرية لدى الإنسان.

لقد عبَّر القديس **يوحنا الذهبيّ الفم** عن الزواج وقال: "**إنه كنيسة صغيرة**"، ويتحدث المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عن الكنيسة العائلية، أي المعبد الداخلي، في قلب الكنيسة الجامعة، لأن الزوجين يعيشان الاتحاد الآتي من المسيح ذاته، للعديد من البشر بطريقة واضحة. لأن حياة العائلة لا تشبه الكنيسة فقط، بل هي جزء حقيقي قوي في حياة الكنيسة، على مستوى الكنيسة المحلية فهي لها نفس الطبيعة والمفعول، لهذا السبب يأخذ الزواج المسيحي طابعه وشخصيته من الإذن الذي يمنح الزوجين أن يعيشا الحياة معاً، وأن يخلقا حياة جديدة، متطلباً منهما الاتحاد القوي بالمسيح، وبالمؤمنين الآخرين، ونجد أعمق من ذلك في هوية وعمق حياة الإنسان المسيحي في اتحاده بالمسيح وبالعائلة المسيحية عمق يأتيه من قبوله لسر العماد المقدس.

وبهذا يمكننا أن نتحدث عن **الدعوة للزواج** وهو الاتحاد في الحياة بين شخصين مختلفين، **لأن الحديث عن**

الدعوة من قبل كان مقتصراً على الدعوات الكهنوتية والرهبانـــية فقط، أما المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني فقـــد فتح هذا المجال للحديث، **ونظر للزواج كدعوة**؛ فـــنجد أيضاً في الرسالة البابوية التي كتبها **البابا بولس الســـادس**[٤٥] بعنوان "**الحياة الإنسانية**" يقول: "**إن الله يدعـــو البعض كي يتبادلوا الخدمة بينهم**" المقصود هنا الأشخاص المتزوجين، كذلك يوضح ويقول: إن الدعوة آتـــية من الله، بل هي موهبة تتطلب الرد الحر من قبل الإنسان، لأنه بهذه الطريقة يصبح الزواج وسيلة للقداسة، مدعمـــا بالعلاقة التي تنمي الشخصية الإنسانية، وهذه العلاقـــة يجـــب أن تستمد قوتها من منبعها الحقيقي من خـــلال علاقـــتها بـــالله. كذلك يكمن جوهر الكمال المســـيحي في المحـــبة، ولهـــذا السبب الحب هو الحقيقة الجوهرية والأساسية للحياة الزوجية، وحسب ما جاء في

---

٤٥ **بولس السادس**، ولد في عام ١٨٩٧ أختير أسقف روما وبابا له في ٢١/ ٦/١٩٦٣. واصل عمل البابا يوحنا الثالث والعشرين في أصدار قرارات المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني. قام برحلات وزيارات ولقاءات عديدة، ولا سيما بلقائه مع البطريرك أثناغوراس في أورشليم وإسطنبول وروما، كذلك تقابل مع الأنبا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بروما عام ١٩٧٠. عمل حتى آخر لحظة في حياته في سبيل وحدة الكنيسة من خلال الحركة المسكونية، توفي في ٦/ ٨/ ١٩٧٨ (١).

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني "**ينبغي على الزوجين الثبات في الحب وعظمة النفس وروح التضحية، لأن الحب الزوجي إنساني يبدأ بالبحث عن الحب الجنسي "إيروس" لكن عليه أن يصل إلى الحب الإلهي "أجابي"، المستعد لتقديم التضحية، هذا البحث يصبح مقبولاً عندما يكون بعيداً عن الأنانية حراً نقياً في جوهره.**

الزواج كحقيقة سامية:

إن الحياة الزوجية المسيحية سر مقدس، دعوة إلى القداسة. كان فكر تقديس الحياة الزوجية موجوداً في الديانات الوثنية القديمة، فيتحدثون في الأساطير عن الجنس البشري في صورة المذكر والمؤنث، أي الرجل والمرأة اللذين لديهم القدرة على الإنجاب، كذلك يتحدثون عن وجود العالم كأنه رؤيا جنسية. ففي هذا الصدد، الزواج هو الكمال النهائي للإنسان، أما العذراوية هي استعداد للزواج، وليس حالة رئيسية في طبيعة الإنسان. كذلك يذكر لنا الكتاب المقدس أن الاتحاد الأسري (العائلي) يظهر من البداية على أنه شيء مقدس، لكن خصوبته ونموه هي الموافقة الشخصية الخاصة، التي يعبر عنها كلا الطرفين بقبوله هذه الحياة، على أنها ليست

كنهاية الآخر، لكن عن طريق العلاقة بالآخر، وهذا رمز سلام من الله للإنسان. كذلك يذكر لنا كاتب سفر التكوين عن قصة خلق الإنسان، على أنها قصة تطور الأرض، مدشناً إياها بخلق الإنسان، الذي خلق على صورة ذكر وأنثى، أي اكتشاف توحي هذه الثنائية؟

يذكر مفسرو الكتاب المقدس عن سفر التكوين ويقولون إن به تقليدين هامين: **التقليد الالوهيمي**: وكان مستخدماً في القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد، ويشرح هذا التقليد الأهمية الخاصة لانجذاب الجنسين ذكراً وأنثى، مع أهمية عملهما الذي يجب أن يكون مكتملاً ومتمماً، الله يخلق المرأة مع الرجل، ويقود الإنسان كي يرجع به إلى الاتحاد الأولي. **التقليد الكهنوتي**: وكان مستخدماً في فترة القرن السادس الخامس قبل الميلاد، وهو يضيف عنصراً جديداً على التقليد الالوهيمي السابق، وهو أن الخصوبة في الاتحاد أي التكاثر، (تك٢٨:١)، وهنا يظهر لنا **حقيقتين أساسيتين للزواج هما:**

١- الحب المتبادل.

٢- الاستمرارية والحفاظ على الجنس البشري.

فبوعي تام، يعبرون عن الزواج أنه صورة سامية، بعيدة كل البعد عن الأنانية، لأن الإنسان بعد أن دخله الفكـــر الشرير في حياته (أي بعد فعله للخطيئة الأولى) على هذه الأرض، استوجب عليه أن يأكل خبزه بتعب وعـــرق؛ جبينه، وبدأ يهيمن أيضاً على المرأة تعب وألم الولادة والإنجاب، "*وقال للمرأة: لأكثرن مشقات حملك تكـــثيراً فبالمشقة تلدين البنين وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهـــو يســـودك*" (تـــك ٣/ ١٦) فمن هنا نستطيع أن نكتشـــف أحد الأسباب التي تجرح الحب المتبادل، الذي نشأ بينهما منذ البدء.

يدعـــو في العهد القديم البشر على أنهم أبناء الله ومدعـــوون من الله، ولهذه الدعوة خاصية عليا، وتعبر تعبيراً وثيقاً عن الاتحاد البشري، دعوة منادى بها من الله بنقاء وطهارة. وفي هذا الاتجاه يقدم القديس بولس يقدم لنا الاتحاد الجسدي في الزواج على أنه صلاة، وهو يأخذ قدسيته من سر الزواج، لأن العلاقة الجسدية تحجب الله عن فكرنا وذاكرتنا، لكنه كي يعالج هذه العبارة بطريقة مبالغ فيها جسدياً، يرجع بنا إلى البداية الطبيعية الطاهرة النقية، وذلك عن طريق الصلاة، وهبة الصلاة، "*وأما ما كتبتم به إليّ، فيحسن بالرجل أن لا يمس المرأة، ولكن،*

فليتجنب الزنى، فليكن لكل رجل امرأته ولكل امرأةٍ زوجها، وليقضِ الزوج امرأته حقها، وكذلك المرأة حقَّ زوجها. لا سلطة للمرأةِ على جسدها فإنما السلطة لزوجها، وكذلك الزوج لا سلطة له على جسده فإنما السلطةُ لامرأته. لا يمنع أحدكما الآخر إلا على اتفاق بينكم وإلى حين كي تتفرَّغا للصلاة، ثُّم عودا إلى الحياة الزوجيَّة لئلا يجربكما الشيطان لقلة عفتكما" (١كو ٧: ١- ٥). كذلك نجد أن الزهد والامتناع عن العلاقات الجسدية ليست ضد هدف الزواج، هذا التوضيح في العهد القديم مصحوباً بالعديد من الأمثلة بصفة خاصة في كتب الأنبياء، فمثلاً في كتاب النبي هوشع في الفصل الأول وحتى الثالث منه، يوضح ويشرح الاتحاد بين الرجل والمرأة، على مثال العهد الذي كان بين الله وشعبه فيقول: *"انطلق وأحبب امرأة يحبها زوجها وهي فاسقة، كما يحب الرب بني إسرائيل"* الكلام نفسه في كتاب أرميا (أصحاح٢، ٣) وأشعيا ٥٤، ٦٢، وحزقيال ١٦، ٢٣. وفي شروحات المفسرين لسفر نشيد الأناشيد البعض منهم يقول: **إن الهدف الأول في هذا السفر هو إظهار جمال وأهمية الزواج في معناه المجازي الرمزي، وبالطبع يظل هذا الكتاب من ضمن الكتب الملهمة في**

الكتاب المقدس، ويأخذ طابعه الروحي الرمزي الذي من خلاله يمجد الخالق على كل ما صنع.

أمـــا في العهد الجديد نجد المعنى الروحي للزواج يأخذ معناه المقدم في كتابات القديس بولس، لأن بالنسبة له العلاقة بين الله وشعبه في العهد القديم، **هي عبارة عن رمز لنا نحن الذين نحيا اليوم**، ممثلاً ذلك **بعلاقة المسيح بالكنيســـة**، فيكتب في رسالته إلى أهل أفسس ويقول: "*ليخضـــع بعضـــكم لبعض بتقوى المسيح، أيتها النساء اخضعن لأزواجكن خضوعكن للرب، لأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة التي هي جسده وهو مخلصـــها*" (فليبي ٥: ٢٢- ٢٣)، كذلك يظهر لنا سفر الـــرؤيا في مشهده الأخير تطور النظرة الإنسانية للزواج من الناحية الروحية في (رؤ ١٩: ٦-٨) يقول: "*وسمعت مثل صوت جمع كثير ومثل خرير مياه غزيرة ومثل دوي رعـــود شـــديدة يقول هللويا لأن الرب إلهنا القدير قد ملك، لنفرح ونبتهج ولنمجد الله، فقد حان عرس الحمل وعروسه قد تزينت وخولت أن تلبس كتاناً براقاً خالصاً، فإن الكتان الناعم هو أعمال البر التي يقوم بها القديسون ونجـــده يشبه أيضاً أورشليم بعروس تنتظر العريس*" (رؤ ٢١: ٢)، وأيضـــاً يذكـــر أن الكنيسة هي العروس التي

تنادي عريسها (رؤ ٢٢: ١٧)، فيصبح التخلي الطبيعي للزواج مليء في عمقه بالناحية الأسرارية المقدسة.

هذه النهايات التي ذكرناها، توضح أن الزواج هو سر من أسرار الكنيسة السبعة، وكل الأسرار هي رموز **[بالمعنى الإيجابي للكلمة رمز]**، لحقيقة عليا سامية، فمثلاً الماء في سر العماد كناحية مرئية يستخدم لغسل الجسد، لكن كناحية أسرارية روحية هو عبارة عن تطهير الروح، والخبز في سر التناول المقدس هو شبع الحياة الروحية، بنفس القوة والمفعول سر الزواج هو الوحيد الجسدي الأرضي الذي يعبر عن الإتحاد الكامل بالمسيح، من الناحية الروحية السمائية.

العذراوية والزواج:

حضر شخص متزوج احتفالاً خاصاً بإبراز النذور الرهبانية في أحد أديرة الراهبات، وكان متاثراً جداً بما يحدث في هذا الاحتفال، فأخذ يقول في نفسه: "**عندما تزوجت أخبروني أن زواجنا مقدس، وهنا يقال الشيء نفسه على التكريس العذراوي، لا يوجد فرق ولا تضارب ولا تناقض في هذا الأمر؟**". لحل هذه المشكلة علينا من جديد أن نوضح حركة وفاعلية الحياة

الأســرارية، بصفة خاصة سر الزواج المقدس، الذي فيه **نجــد العــبور والسمو من ما هو جسدي إلى ما هو روحــي**، حتى وإن كان يظهر هذا بصورة بطيئة، وحتى إن لم يكــن الجمــيع لديهــم الحس نفسه والهدف في الوصــول إلى السمو. قد كتب العديد من آباء الكنيسة وشــرحوا عن العذراوية وبصفة خاصة في القرن الرابع عــندما أرادوا مضاعفة الدعوات الرهبانية. ومؤلفو هذه الكتب هم من الرهبان الذين عملوا جاهدين على إظهار جمال ومتعة حياتهم التي يعيشوها بمختلف جوانبها، والتي تظهر كالزواج، نذكر من بين هؤلاء أوريجينس والقديس يوحنا الذهبيّ الفم.

لقــد كان أوريجينس مواظباً على قراءة الكتاب المقدس، فاستطاع أن يصلي وتعلم أن يرى الزواج على أنه رمز العلاقة ين الله وشعبه المختار، كذلك كان يعرف ويدرك تماماً أن شعب الله في العهد الجديد ليس مقتصراً على أمة معينة، لكنه ممثل للكنيسة الجامعة.تكون العلاقة بين الرجل والمرأة في سرّ الزواج رمزاً عن علاقة المسيح بالكنيســة، ويوجــد العديد من الشروحات للنصوص الكتابية الخاصة بهذا الموضوع، ولكن أي منهم علينا نتبع حــتى نستطيع أن نفهمه بطريقة أفضل؟ لقد ذكرت من

قبل أن الحقيقة الروحية العليا لما هو جسدي، لذلك يجب علينا أن ننطلق من العلاقة بين المسيح وكنيسته، **كي نفهم الزواج البشري بطريقة أفضل والذي هو عبارة عن انعكاس مرئي لهذه العلاقة، لأن المسيح منح البشر بنعمة المشاركة في الاحتفال بالحياة الإلهية، حياة الثالوث المقدس في رمز ومعنى الحياة الزواجية.** بهذه الرؤية بطريقة التفكير نفسها يمكننا أن نقول: **إن حياة الثالوث القدوس تنعكس على حياة الكنيسة، وحياة الكنيسة تنعكس في سر الزواج المقدس في مسيرة الخلاص.** فعمل النعمة الإلهية النازل على الإنسان تصحبه في الوقت ذاته ارتقاء الإنسان إلى ما هو أعلى وأسمى. يبدأ الزواج من الكنيسة حتى ينتهي بالاحتفال والمشاركة بالحياة الثالوثية المقدسة، فهنا تكون العلاقة بين الأشخاص اللذين هم أنقياء روحياً، لذلك هؤلاء الذين يعيشون الحياة العذراوية على الأرض، لديهم الموهبة والنعمة كي يسيروا مثالاً وقدوة للآخرين في السمو الروحي، الآن وحتى نهاية العالم وبعد قيامة الأموات.

لقد شرحنا رأي القديس يوحنا الذهبيّ الفم الذي يقول: "**إن الله ذاته مؤسس ومخترع الزواج حتى يكون حقاً سر الحب**"، أما الآن نضيف سؤالاً هاماً لدرجة أن

القديس يوحنا الذهبيّ الفم يطرحه ويقول: "**لماذا نعتبر العذراوية مرتبة أعلى؟** فنجد رده على هذا السؤال سهلاً وحقيقاً فيقول: **يجب على الحب أن ينمو في الجسدي والروحي، من الحب المحدود إلى الحب غير المحدود، هذا التقدم التفكيري الروحي يأتي من خلال الحياة العذراوية المكرسة، التي أساسها يأتي من الحياة الزواجية، لكنها عليا في حياة الكمال**". تأييداً لهذه الاعتبارات نجدهم في التقليد الرهباني يلقبون العذراوية "**بالزواج الروحي**" الذي يبدأ بالعماد، وينتهي بالإفخارستيا، ويستهلك بالصلاة، وعندما نقرأ تاريخ وحياة القديسين وكتاباتهم نجد العديد من الأمثلة التي توضح لنا هذه الخبرة الروحية العميقة. على سبيل المثال القديسة كاترينا السينائية التي رأت في رؤيا أن قلبها مع قلب يسوع المسيح، والقديسة ماجدلينا دي باذي التي تسلمت من المسيح خاتم العرس، والقديسة تريزيا الأفلية والقديس يوحنا الصليب وآخرون.

نذكر في هذا المجال تعليق المحلل النفسي فلاديمير سولوفيوف الذي يحلل نظرية لحظة الحب، ما الذي يحدث في هذه اللحظة، وما هي أحلام الشباب الطبيعية في هذه الفترة من العمر؟ يكتشف كلٌّ منهما الآخر

كشخص، متجاوزاً أنانية الطفولة، وينظر إلى الشخص الآخر على أنه أجمل وأهم من أي شيء آخر، وكثيراً ما نســمع هذه العبارات الشهيرة بينهم ، من غيرك الحياة لايمكــن أن تعــاش، وأعدك أن أكون وفياً لك طوال حياتي، هذه هي أوهام فترة مرحلة الشباب! لكن الناس يطلقــون عــلى هذا اسم الرشد المدرك، يعتبر فلاديمير ســولوفيوف هــذا مهم جداً، وعلى أي حال يجب أن تكــون علاقاتنا نحن المسيحين هكذا مع الآخرين، ففي الزواج نجد العلاقة عقدية وزمنية، أما العذراوية التي تريد أن تحيا العلاقة الإنسانية الروحية، هذه التي يجب أن يبشر بها للمستقبل.

ويمكنــنا هنا أن نضيف جزءاً من تعليم القديس تومــا الأكويــني، الــذي يقول فيه: "**إن كل سر من الأســرار الســبعة يوجــد ثلاث مراحل هي الماضي والحاضــر والمستقبل، أي الذاكرة والحضور والنبؤة، وتــرنم هذه المقاطع أثناء الاحتفال بسرّ الإفخارستيا بصفة خاصة في الطقس اللاتيني، لنتذكر آلالم المسيح، لنستقبل النعمة الباطنية لأنه وعدنا بالمجد في المستقبل**".

يمكننا أيضاً أن نطبق هذا المعنى الروحي العميق، على سر الــزواج بهذا الشكل، لنحيا ذكرى خلق الرجل والمرأة

لنستقبل النعمة الإلهية الباطنية كي نستطيع أن نحيا في هذا الاتحـــاد الزواجي كمسيحين حقيقيين، ونحقق في وقتنا الحاضـــر ما نصبو إليه في المستقبل، كي نصير في الحياة الآخرة مشابهين الملائكة. وبهذا يتضح لنا أن العذراوية لم تأت بمحض الصدفة بالنسب للأمهات المسيحيات التقيات، اللواتي يرغبن أن يرون أحد أبنائهم **كاهناً مقدساً ومكرساً للـــرب**، وعلى حسب شرح فلاديمير سولوفيوف تكون عـــلى هذا النحو: "**أنا وزوجي إلى الآن لم نصل لقمة الحياة الزوجية، لكن ربما يصل إليها أحد من أبنائنا**".

الفصل السابع

فكونوا أنتم
كاملين، كما أنَّ
أباكُمُ السَّماويَّ كامِل

(مت ٥/ ٤٨)

الدعوة والكمال الشخصي!

لقد أعلن وأكد القديس بولس على أهمية النمو الروحي كوسيلة أساسية وضرورية هامة لمسيرة التواصل في الكمال: "*وإذا عملنا الحَقَّ بالمحبة نمو ونتقدم في جميع الوجوه نحو ذاك الذي هو الرأس، نحو المسيح*" (أفسس ٤/ ١٥). وكذلك يقول: "*يابني، أنتم الذين أتمخض بهم مرَّةً أخرى حتى يُتصور فيهم المسيح*" (غلاطية ٤/ ١٩)، وأيضاً يذكر لنا القديس بولس أن المسيح هو المثال الحقيقي للكمال، لأن المسيح يكشف لنا عن حقيقة الله الآب. ونضيف على ذلك ونقول إن الحياة الروحية المسيحية، هي حياة في الروح القدس الذي يشكل فينا المسيح، بهذا نستطيع حقاً أن نصلي ونتلو الصلاة الربانية ونقول "*أبانا الذي في السموات*". وبدون أي ازدواج في المعنى ولا في الهدف في أننا نحيا دائماً الشركة الكاملة للحياة الثالوثية، مع نمونا في الحياة الروحية. إن مسيرتنا الروحية تولد من خلال دعوتنا التي تأتينا من الله الآب ذاته، يذكر لنا القديس **إغناطيوس دي لويولا** أنه كان متحيراً لفترة طويلة فيما يخصُّ الشكل الواقعي لتحقيق دعوته الخاصَّة، فقرر الذهاب إلى

روما لطلب المعونة، وعند اقترابه من المدينة، دخل إحدى الكـــنائس الصغيرة وشاهد هذه الرؤيةُ الشهيرة التي قد ظهرت له، وكانت عبارة عن التأكيد الإلهيّ له ولدعوته الشخصية، فقد رأى في هذه الرؤية، المسيح حاملاً صليبه عـــلى كتفـــيه، والآب الأزلي يقول للمسيح: "**أريد أنْ تأخذ هذا كخادم لك**". فأخذه يسوع قائلاً له: "**أريد أنْ تخدمنا**".

إن هـــدف الدعـــوة الأول هو الخدمة في معناها الحقـــيقي العمـــيق المعاش، **إذ يصبح للإنسان وجود حقـــيقي ناضج عندما يتبع دعوتة التي اختارها لحياته،** أما في حديثنا هذا فنجد نقطة الانطلاق مختلفة تماماً، لأن الله هو صاحب الدعوة في جميع الحالات،فها هو الإنسان يـــأخذ كيانه وحقيقته من كلمة الله التي نطق بها عندما خلقـــه "*لنخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا*" (تك ١/ ٢٦ - ٢٧)، هكـــذا شـــرح آبـــاء الكنيسة هذه الآية متخذين من المسيح المثال الحقيقي، بصفته الابن الإلهي، وبواســـطته خلقت جميع الأشياء. كما شرح أيضاً آباء الكنيسة آية "**صورتنا ومثالنا**" في نقطتين هما: "**صورتنا**" هذه الصورة قد أعطيت لنا من الله منذ البداية. "**مثالنا**" فتتميمها يتم بواسطتنا وبعملنا نحن. لذلك تصبح الحياة

الروحـــية عبارة عن المحرك لنا لنحيا هذه الصورة والمثال التي خُلقنا عليها، من خلال تجاوبنا الفعّال على دعوة الله الأب لنا في حياتنا.

وإذا أردنا أن نعرف بالتحديد فيما نشبه المسيح، يجيب علينا **أوريجينس** بشرحة للفضيلة ويقول: "**إن المسيح هـــو نـــبع الفضائل، وكل إنسان يمارس إحدى هذه الفضائل (العدل، الرحمة، الحقيقة، ...إلخ) فهو مشترك فعلياً مع المسيح في ذلك، ونستطيع أن نحيا ذلك بتعمق عـــندما نقـــتدي بالمسيح في حياتنا، ونعرف جيداً أن الاقـــتداء بالمســـيح، لايأتينا من الخارج إنما من عمق كياننا وحياتنا التي نحياها أينما كنا، لأن المسيح كائن فيـــنا وحاضر من خلالنا، فمن طبيعة الحال نستطيع أن نحيا مقتدين به في كل الفضائل المسيحية، وعندما نفعل ذلـــك نصير إخوة له في تنفيذ وعمل إرادة الله الآب، كما يذكر لنا القديس لوقا في إنجيله (١١/ ٨)**".

أيضاً يقول **أوريجينس إن كل نفس تحيا الفضائل وتمارســـها، تصير كأم يسوع المتحدة بالروح القدس الحاضـــرة في العالم، لأن الروح القدس المعطي الوحيد للقـــوة اللازمـــة لحياتـــنا الإنسانية الحقيقية ولمعايشة**

الفضائل، ولأنه الروح الموحد لجميع النفوس المسيحية، مثلما كان مع مريم العذراء.

الدعوة الثالوثية في العمل الإنساني:

قـــدم كانط [مؤسس علم الاجتماع الحديث] اعتراضـــاً قويـــاً، لم يكن له مثيل من قبل على الإيمان الثالوثي وهو: "**إن التعاليم الخاصة بالثالوث، هي عبارة عـــن تعاليم حرفية، نظرية متقنة، ولا يمكننا أن تخدم الحياة العملية، حتى وإن وجد مَنْ لديهم القدرة على شرحها وتوضيحها، بل بالأكثر حتى مع اللذين يعون جـيداً أنهـا خارجـة عن موضوعنا، وفوق مفهومنا وتصـورنا العقـلي**". لقـد كان كانط فيلسوفاً ذكياً وبارعـاً، مقدماً اعتراضه هذا بطريقة جادة، والأهم من ذلك أنه ليس من الصعب الرد على هذا الاعتراض، من مـنطلق الحقيقة المسيحية التي لا تنظر للنشاط الإنساني وكأنـه مستقل، وإنما كعمل مشترك بين الإنسان والله، يكـون مسلك الإنسان الروحي روحياً في حياته، على حسـب إرشاد الروح القدس له، ويبدو هذا المسلك في حياته وكأنه سر، وتنشط عمل الإنسان في ذات الوقت الشخصيةُ الإلهية المتحد بها في حياتة. ولأن الروح يعمل

لأنه مُرسل من المسيح، العامل والمنفذ لإرادة الله الآب. لهذا في كل عمل بشري "**روحي**" نجد حضور الله الآب وتدخلــه، من خلال الابن يسوع المسيح وبقوة الروح القدس. وهــنا السـؤال الآتي: **لكن كيف يمكننا أن نســتوعب عمل الله الآب؟** وهو الخالق لجميع الأشياء والتي تتخذ أصلها منه وحده، وقد خلق الإنسان ليكون معاونــاً له "**خالقــاً**"، ودعاه ليكون سيداً على الخليقة كلها، على مثال المسيح الذي كان يكشف ويعلن إرادة الله الآب عــلى الأرض! نقــول: "**أي على نفس نمط المسيح**"، ولكن هنا لا يريد أن يقارن هذا المثال، بطريقة تجعلــه خارجاً عن الواقع الإنساني، لأننا في الواقع نفهم جــيداً كيفية السلوك "**حسب المسيح**" وهذا لأننا "**في المســيح**"، المــتحد فينا. والذي شهد له القديس بولس بقوله: "*فالحياة عندي هي المسيح، والموت ربح*" (فليبي ١/ ٢١). فــإذا كــان قد حُبل بيسوع، بفضيلة وعمل الــروح القدس، فيجب على المسيحي أن يسلك بنعمته الإلهية المعاونة له.

يوجــد العديــد والعديد من الأعمال الإنسانية المختلفة، لكن المدهش فيها هو أن جميعها يتحد في العمل الإلهــي العظيم، وهو الذي يسعى لخلاص العالم، وربما

يقود هذا أحدنا إلى التفكير الآتي: إذا كان الأمر هكذا، فلماذا تبدو **جميع أعمالنا وكأنها هشة ضعيفة، ومصحوبة بالفشل**؟ الإجابة هي: **إن انفتاحنا على عمل الروح القدس وتجاوبنا معه غير كامل، ولا نقوم بعمل المعجزات كما نرى في حياة القديسين، وحتى هذه الإجابة غير قاطعة وغير ناهية**. لأننا نجد الضعف والفشل في حياة القديسين أيضاً. إن عمل الله الوحيد هو خلاص العالم، في المسيح الذي حقق وتمم هذا من خلال موت الصليب، وهذا المفهوم قد تم التركيز عليه في الماضي القريب، وبصفة خاصة من اثنين من اللاهوتيين وهما: ج. ب. **متز**[46] **J. B. METZ** ؛ و ج. **مولتمان J. MOLTMANN** . فيقدم لنا **متز** المسيحية على أنها واحدة من الثورات الكبرى في التاريخ، وإن هدف كل الثورات هو تأسيس العدالة، تحسين مستوى الفقراء والمضطهدين، وقد كُتب في الكتاب المقدس أن الله يعتني بهؤلاء ويحملهم على يديه،

---

٤٦ ج. بز **متز** ولد في المانيا عام ١٩٢٨، وسيم كاهناً في عام ١٩٥٤. قام بتدريس اللاهوت الأساسي لسنوات عديدة، وكان منهجه يتضمن قسمين أساسيّين في اللاهوت هما: اللاهوت السياسي، واللاهوت الكنسي، وله دور نشطاً أيضاً في مجال وحدة الكنائس المسيحية (٢).

وهـــذا جعل الله يرسل المسيح الابن ليتحد بهؤلاء اتحاداً كلياً، وقد أدى هذا الاتحاد على نشوب العداوة للمسيح مـــن بعض الأشخاص، وكانت نتيجة هذه العدواة هي الحكـــم علـــيه بالموت مصلوباً، ونحن نعيش اليوم هذه الذكـــرى للعمل **الإلهي/ البشري**. أيضاً يضيف المؤلف "**شـــيئاً هاماً وخطيراً**" وهو أن "**الثوري**" [**أي من يقود ويحفـــز إلى القيام بعمل الثورات**] يريد دائماً أن يحول العـــالم من حياة الظلم، إلى عالم العدل والمساواة، لكن هـــذا يمكـــن تحقيقه فقط عن طريق المخلص من خلال الصليب، وهكذا يصبح الإشتراك في العمل **الإلهي/البشري** ظاهراً في ملء قوته وفعاليته.

ويضـــيف **مولـــتمان** هذه الفكرة: يحيا المسيحي بالروح القدس، الروح الذي يوحد جميع المتحدين بالله، **فـــأين، وكيف أجد نفسي؟** الرد: هناك حيثما يوجد المسيح. لهذا تكون النشاطات المسيحية عبارة عن مشاركة في عمل الله الآب في العالم، من خلال المسيح وفي الروح القـــدس، يكتب المؤلف قائلاً: "**إن مجد الله لا يظهر في تـــيجان الملوك، ولا في مواكب المنتصريين الظافرين، لكن في وجه يسوع المصلوب، وفي وجوه المضطهدين والمنبوذين والمهمشين، اللذين اختارهم كإخوة له**".

إذاً يمكننا القول بأننا نحيا حياتنا الروحية، ونمر فيها أحياناً بخبرة تناقضية، لأنه عندما تكلل أعمالنا بالنجاح، فهل نستطيع أن نقول حقاً: "**إن الله معنا**" في هذا العمل. وعـــندما يواجهنا عكس ذلك، أي عندما يكون الفشل حليف أعمالنا، بسهولة نلقي اللوم على الله قائلين **إنه قد تخـــلى عنا**، وربما يكون السبب منا في فشل هذا العمل، في الحقيقة نجد الإيمان القوي الحقيقي يظهر في اللحظات الصعبة التي يمر بها الإنسان من خلال ما يقوم به من أعمال ونشـــاطات مختلفة في حياته، فالإيمان يساعدنا على أن نتذكر الصليب المحيي ويعيننا ويمنحنا القوة كي نحمل صليبنا مع المسيح من خلال اشتراك الآب والروح القدس معنا.

الانعكاس الثالوثي

في التفاعل الداخلي للإنسان:

يـــتقابل شخصان كي يتفقا ولكنهما لم يتوصلا لاتفـــاقٍ والسبب هو: عندما يبدأ الأول بالحوار قائلاً: "**إني أفكـــر بطريقتي**"، فيجيبه الآخر قائلاً: "**وأنا أيضاً**" وتكـــون نتيجة هذا الحوار هي: "**ابتعاد وعدم اتفاق!**"، وهكـــذا يوجـــد العديد والعديد من البشر، يريدون أن يفكروا بطريقتهم، وغير مستعدين لسماع رأي الآخر،

لكـــن هذا مستحيل لأن عقلنا لا يشبه ماكينة التصوير، التي تستقبل المشاهد والمناظر التي نريد التقاطتها بطريقة لا حياة فيها. ولنرجع إلى ذواتنا وحياتنا، لأن الأشخاص الأحياء اللذين لا يستطيعون تبادل المعرفة، والمشاركة في الرأي، بدون الحوار المتبادل بينهم، وبما أننا نستطيع أن نرى الخليقة كلها في أشكال مرئية، أينما وجدنا نستطيع أيضـــاً أن نرى ونكتشف فيها وجود الأشخاص اللإلهية الـــثلاثة، لأنهم أساس كل حقيقة، لهذا يتوجب علينا أن ندخـــل في حوار معهم وبأي وسيلة حتى على مستوى تفـــاعلات نفسنا الداخلية. عندما نتحدث عن النشاط الإنساني، متأثرين بعقلية اليوم الاستهلاكية، نفكر مباشرة وقـــبل كـــل شـــيء فيما هو مرئي، خارجي محسوس ملموس، وننسى أهمية التفاعلات والنشاطات الداخلية، ولأن الإنســـان نشـــيط حتى في نفسه، بصفة خاصة في الأبعـــاد الثلاثة الآتية: **العقل، الإرادة، والذاكرة**.الآن نحاول توضيح كيفية الانعكاس الثالوثي، في نشاط كل واحدة مركزين شرحنا على ما هو أساسي منها: **العقل، الإرادة، والقلب**.

العقل ... تكمن مشكلة العقل الجوهرية في كيفية معـــرفة الحقيقة الأساسية لموضوع ما، وفي كيفية قبول.

العقل لها والإقناع بها، في البداية نحن مقتنعون تماماً بأن كل ما هو حقيقي يخدمنا في العالم، لكن الموضوع يتعلق بما هو خارج عنا، لأن كل ما هوخارجي سهل التغيير، مثل الشهادات والقواعد اللغوية واستخدامها المختلف وغيرهما.

فإننا نجد في اللغات ثلاثة أساليب شخصية، **[أي يمكـــن استخدامها من الشخص المتحدث]**، **أنا**، **أنت**، **وهـــو**. لكـــن في العلـــوم النفسية المتطورة، يتم ترتيب استخدام هذه الضمائر بشكل وتسلسل أفضل على النحو الآتي، (**أنـــا**، **هـــو**، **أنت**). فنجد الطفل في بداية حياتة الأولى يكـــون كل تركيزه الشخصي على **الأنا**، وبصفة خاصة على كل ما هو خارجي من أشياء، ويريد من خلال ذلك أن يجعلها أشياء ذاتية خاصة به، وبأسلوبه البسيط يعـــبر عن ذلك بالقول (**بتاعتي أنا**)؛ لكن مع تدرجه في الـــنمو العقلي والفهم، يبدأ في أن ينظر للأشياء بطريقة "**موضـــوعية**"، ممـــا يجعله يتسائل عما هو غير معروف لديـــه، فمـــثلاً نجـــده يسأل عن [**الدمية، التليفزيون، الكـــتاب**، ..] ما هذا الشيء؟، لأنه بهذه الطريقة تبدأ تنشأ وتتكون لديه خبرة الفصل بين **الأنا والهو**.

والأسلوب الذي يستخدمة في ذلك شيق للغاية، فيبدأ الحديث مع الأشياء الآخرى، ومخاطبا أياها بالضمير

أنت، نابعاً هذا من معرفتة المتدرجة في النمو، وكما نعلم جميعاً بأن الأطفال في بداية هذه المرحلة يحاولون التحدث مـع كـل ما هو محيط بهم في المترل، مثل: الحيوانات، لعبهم الخاصة، الورود والزهور، مع أي من الأشياء...)، ويعـتقدون أنها تسمعهم. لكن مع التدرج في النمو يبدأ الشخص في أن يحكم على الأشياء بطريقة واقعية أفضل، أي يحكـم على الأشياء كما هي في طبيعتها، فيتوقف الشخص في مخاطبة الأشياء والتحدث معها لأنه اكتشف أنهـا لاتجيبه؛ وبهذا أيضاً يبدأ في عدم استخدام الضمير (**أنـت**) في مخاطبته لها، مستخدماً الضمير (**هو**)، ويبدأ يعقـل أن الضـمير (**أنت**) يطلق فقط على الأشخاص البشـرية، ولكـن للأسـف مع هؤلاء الأشخاص نجد محدوديـة الحـوار، مما يجعلنا في أن نبدأ من جديد في التخاطـب والتحدث بطريقة أشمل مع (الهو) [**المقصود هـنا الأشـياء والآلات**]، فمثلاً يوجد الآن الكمبيوتر الـذي يستطيع أن يتحاور معك بمجرد وضع البرنامج الخاص بذلك، وبالتدرج نشعر وكأن العالم خارج عنا، حاكمين عليه وكأنه منفصل عنا، وغير مطابق ومماثل لما نعيش. عندما تهيمن هذه العقلية على الحضارة الأوربية، لايصـبح غريباً لدينا أن نعتبر ذلك عبارة عن نوع من

الفلسفة الراديكالية، والمثل الشهير على ذلك هو ما يقال عن المفكرين الإلمان اللذين يقولون: كل ما هو حقيقي، كل ما نفكر فيه نحن، وكل فكرة تأتي من الخارج وليست منا غير مقبولة ولا معروفة لدينا.

ونجد في هاتين الحالتين، افتراضاً مشتركاً بين **(الأنا، الهو)**، وبهذا يصبح **(الأنت)** منفصلاً عنهما، ولقد أحس الشعراء وأكدوا دائماً على ضرورة التقليل من أهمية الهوة التي قد خُلقت بيننا وبين العالم، ونذكر هنا المعنى لأحدى القصائد الشعرية، لشاعر كفيف البصر وهو **جان ولكر**[٤٧] **Jan WOLKER**، الذي كان يحلم في أن يرى البحر مما دفعة لكتابة العديد والعديد من الأفكار المعبرة عن رغبته هذه، وفي يوم ما استطاع بالفعل أن يصل إلى شاطئ البحر الأدرياتي، وعندما سمع أن لون ماء البحر أزرق عبر عن خيبة أمله، لأن هذا البحر لم يكن هو البحر الذي يحلم به، فأين أبحث عنه؟ **سأجده في عيون البحارين اللذين يعيشون بالبحر.**

---

٤٧ **جان ولكر شاعر إنجليزي ولد عام ١٩٠٠، وتوفيّ عام ١٩٢٤. له العديد من القصائد الرائعة، التي تعبرعن خبرته الشخصية في الحياة، كان كفيف البصر وأصم (٢).**

إن قصـــيدة ولكر هي في غاية العمق، وهى ترد عـــلى الـــتفكير الكتابي القائل: "**المعرفة**" تعني **الخبرة**.. تعرف **الحرب**، **السلام**، **الزوجة**، وفي النهاية تعرف الله، أي نـــوع من أنواع الخبرات هذه الخبرة؟ مع بداية نهاية العصـــور القديمـــة، كانـــت الخبرة السائدة في المدارس الفلســـفية، هي الخبرة العقلية، وهذا قد أدي إلى الفكرة الآتـــية: جميعا يعرف كيف يفكر، لكن الإنسان المفكر جـــيداً هو إنسان كامل، بصفة خاصة فيما يخص العمل العقلي، كانت هذه الفكرة منتشرة في ذات الوقت داخل الأمـــبراطورية الرومانية، عن طريق العبادات التي كانت تقدم للآلهه في صورة أسرار، وهذه الفكرة مرتبطة تماماً مـــع فكرة المدارس الفلسفية التي كانت تريد، أن تعلو بالفكر والعقل البشري وتريد وضعه في مرتبة الله. لكن الإنســـان بتركه للإيمان يفكر متأثراً ببعض الأفكار، أنه يستطيع الوصول بمفرده إلى مرتبة الله، لذلك يبحث في أن يظهـــر هذه الأفكار في صورة عبادات أسرارية. ربما نجد شيئاً متشابهاً في وقتنا الحاضر، فهناك بعض المذاهب الـــتي تحث الإنسان على التعامل مع الأفكار من خلال قوتهم الذاتية، القادرة على تغيير العالم، ولكن توجد فئة أخرى تنادي بـــ "**التأمل السامي المتعالي**" [**هنا المقصود**

التأمل في صنع الخالق]، ومن خلال التأمل يستطيع الإنسان أن يعترف بقدرة الخالق الأعظم.

الخبرة المسيحية الحقيقة:

ليس هنا المكان المناسب كي ندخل في نقاش مبهم ومجهول النهاية، لكن يمكننا أن ننتبه لحقيقة الكمال المسيحي وهو يسوع المسيح ذاته حقيقة الحقائق الأولية. لأن حياتة توحي إلينا في المقام الأول وتوضح لنا أنه نزل من السماء إلى أرضنا، متخذاً صورة الإنسان وشابه حياته بكاملها ما عدا الخطيئة، منذ لحظة الميلاد، وحتى الموت موت الصليب **والهبوط** إلى الجحيم، ثم قيامته **وصعوده** وجلوسة عن يمين الآب. هكذا عَبَّرَ اللاهوت **اليهودي/ المسيحي**، كي يوضح سر المسيح الذي يبدو لنا في الوهلة الأولى وكأن به طرفان مختلفان **صاعد/ نازل** في ذات الوقت. وإذا تأملنا الخليقة المحيطة بنا نجدها تجيب علينا، كذلك الفكر الكتابي الذي يحكي لنا قصة خلق العالم. لأن المسيح قد جاء إلى العالم الذي بَعُدَ عن الله وسقط في الهوية لكي يعيده إلى يمين العظمة حيث يوجد المسيح ذاته.

إن الله قد بدأ عمله الإلهي في العالم بالخليقة، من خلال كلمتة الخلاقة، "قال الله ..."، لأنه هكذا وجد العالم. لهذا يتوجب علينا توضيح المعاني المختلفة **"للكلمة"** ففي اللغة العبرية **دبار**، في اليونانية تعني **لوغس**. ففي اللغات المختلفة ومن خلال الشروحات الكثيرة كلها تتفق على أن هذه الكلمة لها معانٍ أدبية عديدة. لكن أهم هذه المعاني والذي يهمنا هنا في هذا السياق، هو أن الكل يتفق على **أن الكلمة وسيلة الاتصال بين الأشخاص، وسيلة الحوار**، شخص يتكلم والآخر يستمع ويجيب من خلال استخدامه للكلمة. لأنه إن لم يُجب الإنسان على الآخر في الحوار، تفقد الكلمة دورها وفاعليتها الأساسية. ففي قصة الخلق يقول الله يقول والخليقة تجيبة من خلال عملها، فبهذا خلق العالم من العدم وصار له كيانه الوجودي كما نراه اليوم.

لقد بدأ الله حواره الخلاق في العالم منذ بداية الخليقة حتى وصل إلى قمتة، عندما جاء ملء الزمان و لم يفعل الله كعادته في هذه المرة ، وهو لم ينتظر إجابة الإنسان بل فعل من ذاته "*والكلمة صار بشراً فسكن بيننا فرأينا مجده مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق*" (يو ١/ ١٤). ومن خلال هذا نستطيع أن

نكتشف قمة التواضع الحقيقي وكماله الذي اتخذه الله، ولا يمكننا أن نخيل تواضع أكثر من ذلك. لأن المسيح ابن الله الوحيد اتخذ جسداً بشرياً، فهو بداية وبكر كل خليقة فهو *الألف والياء، البداية والنهاية* (رؤ ٢١/ ٦). لذلك علينا نحن البشر عند سماعنا، أو تلفظنا باسم المسيح أن نضع كل الخليقة في فكرنا ومخيلتنا، لأن جميع الأشياء خلقت بواسطة. وبهذا يختتم الآباء ويصلون في تفكيرهم هذه الفكرة، **إن المعرفة الحقيقة للعالم ليست المعرفة العقلية، ولا المعرفة المبنية على الاختبارات، إنما معرفة العالم تتوقف على مدى معرفتنا لشخص لمسيح من خلال الحوار معه**. لأننا من خلال حوارنا مع المسيح نتحاور أيضاً مع الله الآب، ولا نصل لهذا إلا من خلال نور الروح القدس بداخلنا، الذي يهبنا نعمة النظرة الروحية للمخلوقات. من هذا المنطلق نصل إلى اكتشاف عمل الله الخلاصي في العالم الذي تم ومازال مستمراً حتى يومنا هذا، تم في المسيح ومن خلاله وهو وضعه بين يدي الآب.

إن سر الثالوث القدوس هو حقيقة أساسية لمعرفة حقيقة العالم الذي نحيا فيه. لأننا من خلال حوارنا مع العالم الذي خلقة الله نستطيع أن نكتشف قوة الحب وعظمته الموجهه لنا من الله تعالى والمطالبين بالتجاوب

معهـــا في حياتنا. كذلك أيضاً إذا تفحصنا بأعيننا العالم ينشـــد سيمفونية الحب الرائعة التي لم يستطع أي مؤلف موســـيقى أن يؤلفها، بل الله ذاته هو المؤلف والملحن في ذات الوقـــت، ونحن علينا أن نستمتع بها ونتذوق ما بها ونمجد الخالق على ما صنع وأبدع في خلقه.

الثالوث القدوس

مفتاح الوصول للحقيقة الكاملة:

لقد حاولت في بداية هذا الكتاب عرض وتحديد إلى حـــد مـــا جزءا من سر الله الواحد المثلث الأقانيم، ذاكـــراً المشكلة منذ بداية المسيحية وفي الفكر الأوربي. لكـــن الآن نحـــاول أن نـــراها في الواقع الراهن الحالي. فمازالت المشكلة القائمة في عالم اليوم، وهي عدم توحيد المعـــرفة الإنسانية للإشياء. ويعلق **فلاديمير سولوفيوف** عـــلى الحضارة الأوربية عبر القرون مؤكداً على أنها قد تطـــورت مـــن خلال ثلاثة جوانب معرفيّة كبرى هي: **المعـــرفة التجريبية، المعرفة الغَيْبيَّة، والمعرفة النسكية**، ومـــن المدهش لنا عندما نفكر في هذه المعارف السابقة، نكتشف عدم وجود علاقة بينهم. لأن كل واحدة منهم لها مجالها الخاص المنعزل تماماً عن الأخرى. وإنسان اليوم

علــى العكــس تماماً من ذلك، لأنه يريد الحصول على المعــرفة الكاملــة لجميع الأشياء، والتي تساعده لتكوين معــرفة موســوعية جامعــة شاملة عن كل ما هو في الوجودة، وعلاقة الأشياء وبعضها. فقد كان حلم حياة سولوفيوف كيفية الوصول إلى خلاصة معرفية متجانسة، تجمع بين المعارف الثلاثة السابقة، حتى وإن لم يكن قد توصــل إلى هــذه المجازفة الفكرية، إلا أنه قد ساعدنا ووضــعنا عــلى بدايــة طريق التفكير كي نكمل بحثه للوصول. لأن البحث والتنقيب عن الأشياء لا يعني وضع الشيء بجانب نظيره، لكن يعني وضع الشيء داخل الشئ الآخر، أي أن ننظر إليه نظرة متكاملة جامعة غير منفصلة عــن بــاقي ما هو محيط به. قد أخذ **بول فلورنسكي** الرجوع للفكرة السابقة نفسها، وهو كما نعرف أنه في الــبداية كان ملحداً، تخصص في مادة الرياضيات، لكن بعد الثورة الروحية التي عاشها في حياته يصبح واحداً من أعظــم اللاهوتــيين الروس، الذين لديهم القدرة القوية والنعمة على شرح عقيدة الثالوث القدوس. أيضاً يركز في شروحاته وتعاليمه على أن هناك ثلاث طرق للوصول للحقيقة هم: **المعرفة التجريبية**، **المعرفة الغَيْبِيَّة**، **والمعرفة**

النسكية، لكنه يتسائل ما الغرض والهدف من هذه المعارف الثلاث؟

حقاً إذا كانت المعرفة التجريبية تأتينا من الخارج فقط، فنرى الأشياء الظاهرة منها. أما المعرفة الغَيبيَّة هي التي تحتوي على الحقائق التي نريد أن نصل إليها، ونفكر فيها. أما المعرفة النسكية [**هنا فلورنسكي لا يعني النسك بالمفهوم المسيحي كما نعرفه نحن**] وهو يحاول الفصل بين الأشياء التي أنا عليها فعلاً أي ما أفكر فيه، والعالم الخارجي المحيط بي. وهو يضع لنا أسلوباً للوصول إلى الحقيقة وهو: علي الإنسان أن ينسى ذاته "**الأنا**" الشخصي، حتى يستطيع أن يصل إلى اكتشاف علاقة بين **أنا و أنت، وأنا وهو**، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى هذه الدرجة من المعرفة الشاملة، بدون النظرة الجامعة الشاملة وتحت مظلة الروح العالمية، أي أن الإنسان يمثل جزءاً من كل، وبهذا علينا أنْ نعمل معاً على التخلي عن الروح الانفرادية، التي تجعل الشخص يعيش منعزلاً في حياته ومجتمعه. لهذا أصبح من الضروري البحث عن أساس آخر، له القدرة على التوحيد والبنيان، وليس التخريب وزرع الروح الانفرادية، ألا وهي قوة **الحب**، وهي القوة الوحيدة والحقيقة الوحيدة القادرة على

توحيد وجمع ما هو مبعثر ومتفرق. لأن الحب وحده له السلطان على أن يجعل الشخص قادراً على تخطي الصعوبات، وهدم المسافات المفرِّقة في الحياة، علاوة على ذلك أن قوة الحب تجعل من الإنسان الضعيف إنساناً قوياً خلاقاً غير مبالٍ بالصعوبات التي تواجهه في حياته، حتى يصل لهدفة الذي وضعه لحياته.

إرادة الإنسان واكتشافه لحريتة الكاملة:

إن علاقة الحب توجد فقط بين الأشخاص الأحرار، هذا يمكننا أن نطبقه على مستوى جميع المجالات الحياتية المختلفة التي يعيشها الإنسان سواء كانت روحية، نفسية، إنسانية،...الخ. كذلك يساعد عامل الحرية بتوافره الإنسان على تقديم التضحيات والتنازلات في سبيل من يحب للوصول إلى الهدف المنشود. لأن الإنسان بدون استخدامه لحريتة يفقد جزءاً أساسياً من النعمة الموهبة له من الله، الذي خلقه حراً على صورته ومثاله. ومن هنا يتضح لنا ويصبح جلياً امام أعيننا عندما نرى بعض الشعوب التي يتمتع حكامها بحرية في إدارة شئونها المختلفة، من خلال عملهم الجماعي معاً وليس بطريقة فردية غير متمعة بالحرية. أما هؤلاء الذين يتمتعون بالحرية حقاً يستطيعون أن يضعوا

العالم في نظام وأُطرٍ محكمةٍ تساعد في الحفاظ عليه، مراعين وواضعين نصب أعينهم التكوين الإنساني الداخلي، وواضعين تعاليم أدبية تحافظ على كرامته. فمثلاً من ضمن القضايا الحديثة التي تشغل الكل **مشكلة الإجهاض**، والتي تصدت لها **الكنيسة الكاثوليكة** وكذلك العديد من الدول، فأصبح ممنوع دولياً في بعض الأماكن. لأن الطفل الذي يولد يجب أن يشعر برغبة وحرية وإرادة كاملة من والدية، لذلك أصبح من الضروري وضع البشرية جمعا وأمام ذاتها وأمام هذه القضية الصعبة. ويجب على الزوجين أن يكون لديها الرغبة الكاملة في اختيار الوقت المناسب لاستقبال مولودهما بحب حقيقي ورغبة عارمة. حتى وإن كان هناك من المفكرين الأحرار- أو بالحري المتحررين من التقاليد والتعاليم الكنسية- وهؤلاء لا يوافقون رأي الكنيسة. أيضاً من خلال رغبة الإنسان وحريته، يعبر الزوج عن حبه لزوجتة والعكس فيتفقا على أن يكونا ثلاثة. أيضاً الله قد أعطى الإنسان هذه النعمة وهي أن يكون مشاركاً له في عملية الخلق من خلال سر الزواج المقدس. أي مشتركين في حياة الله وطبيعته الخلاقة، فهو يمنحنا هذه النعمة بكامل حريته، ويطالبنا أن نكون

أحــراراً في اســتخدامها ومسئولين عنها، محافظين على تعالــيمه مــن خلال ما يوصينا به في الكتاب المقدس، وتعالــيم الكنيسة التي تظهره لنا مستخدمين إياه بكامل إرادتنا حتى نصير حقاً أحراراً . لأننا إذا فكرنا في العلاقة الثالوثــية بــين الأقانــيم الثلاثة نجدها مبنية على هذا الأساس، نحن دُعينا إلى أن نعكس هذه الحياة الباطنية لله حــياة وعلاقة الحب. نستطيع حقاً أن نعيش هذه الحرية فقط من خلال المسيح، لأنه الطريق الوحيد كي نكون أحراراً متحررين من عبودية الشريعة، وبهذا نستطيع حقاً أن نشارك علاقة الآب بالابن، كما ذكر القديس بولس في رســالته لأهل غلاطية "*فلسنا نحن إذا، أيها الأخوة، أولاد الأمة، بل أولاد الحرة*" (غلا ٤/ ٣١).

الفصل الثامن

الفضائل الإلهية والصلاة

الإيمان، الرجاء، والمحبة:

لقد تضاعف عدد الذين أعلنت الكنيسة طوباويتهم وقداستهم في زماننا المعاصر، [**بصفة خاصة في فترة حبرية قداسة البابا يوحنا بولس الثاني**[٤٨]]. لهذا يراودنا

---

٤٨ البابا يوحنا بولس الثاني، ولد كارول جوزيف وجتيلا في ١٨ مايو ١٩٢٠ في مدينة فادوفيتش الصغيرة بالقرب من كراكوفيا عاصمة بولندا، من أبوين تقيين اشتهرا بالتقوى والترابط الأسري. إعتمد كارول في ٢٠ يونيه ١٩٢٠، واحتفلت عائلته بمناولته الأولى في ١٩٢٩. أتم دراسته في مدينته والتحق بعدها بكلية الآداب والفلسفة في جامعة كراكوفيا وكان يعمل بجانب دراسته كعامل بسيط في منجم، ثم في مصنع مواد كيميائية وكان يحب المسرح. توفيت والدته فجأة وظل، كارول مع أبيه وأخيه في دراسته الجامعية مع اهتمامه بشئون المترل. توالت على كارول الأحزان فتوفي شقيقه الوحيد إدورد ولحق به والده سنة ١٩٤١. التحق كارول بالمعهد الإكليريكي التابع له وسيم كاهناً في أول نوفمبر ١٩٤٦، وبعدها سافر إلى روما لاستكمال دراسته. عينه البابا بيوس الثاني عشر أسقفاً في كراكوفيا عام ١٩٥٨. منحه البابا بولس السادس سنة ١٩٦٤ رتبة كبير الاساقفة ثم كاردينالا في ١٩٦٧. تم انتخابه بابا في ١٦ أكتوبر ١٩٧٨ وهو أول بابا من أصل غير إيطالي بعد البابا ادريانوس السادس ١٥٢٣. أصيب قداسة البابا في ١٣ مايو ١٩٨١ بعدة طلقات نارية من أحد المتطرفين يدعى محمد على اغا في ميدان القديس بطرس وسط حشود المؤمنين. سامح قداسته الجاني وزاره في السجن. في عهده أعلن ٤٨٢ قديساً و١٣٣٨ طوباوياً. كان له ١٥٩٠ لقاء مع رؤساء وملوك دول العالم. قام بعدد ١٩٨ رحلة داخل إيطاليا، و١٠٤ رحلة خارجها زار خلالها ١٧٩ بلدا. أصدر أكثر من ١٠٠ وثيقة كبرى. عين ٢٣١ كاريناﻻً منهم ١١٧ مؤهلين للتصويت على البابا الآتي من بعده. أقام أكثر من ١١٦٠ لقاء عام بالفاتيكان حضره أكثر من ١٧٦٤ مليون شخص. انتقل إلى حضن الآب السماوي في ٢ أبريل ٢٠٠٥.

هذا السؤال كثيراً، **من هو القديس؟** فإذا أردنا أن نجيب علـــى هذا السؤال من المنطلق العقائدي، فنجد إجابات متعددة منها: **كل شخص حصل على الروح القدس، هو قديس [يصبح الشخص مهيئاً لقبوله الروح القدس بقبولـــه سر العماد المقدس، ويناله أيضاً بوسم لايمحى مـــن خلال سر التثبيت، المعروف باسم سر الميرون، ويمنح هذان السران في الطقس القبطي معاً عند عماد الطفل، أما في الطقس اللاتيني فيمنح سر التثبيت عند بلوغ الطفل اثنتي عشر سنة]. قديسون هم من يعملون في حـــياتهم عـــلى حســـب قيادة الروح القدس لهم، متحلون في حياتهم ومن خلال عملهم، بحياة الفضيلة مـــن خلال علاقتهم الحميمة مع الله.** يوجد العديد من الفضائل، لكن ثلاث فضائل أساسية منها فقط قد دُعيت إلهية [**الإيمان، الرجاء، والمحبة**]، لأنهم مشتركون فعلياً في حياة الله ويظهرون بطريقة خاصة. ليس هذا فقط لكن لهـــم الطابع **الثالوثي** في تركيبتهم. أيضاً نجد هذا عندما نعـــيش الحـــوار الداخـــلي في صلاتنا التي نقوم بها مع أشخاص الثالوث القدوس.

إن فضـــيلة الإيمان ليست **معرفة مجردة**، لكنها في المقـــام الأول هـــي **الثقة** المعطاة للإنسان من الله، وهذا أيضـــاً يعني أنها ممنوحة ومهداة لنا من الله، حتى يستطيع الله أن يـــتمم عمله ومخططه للبشرية من خلالنا، لذلك يمنحنا هذه النعمة. فنجد على سبيل المثال إيمان إبراهيم الـــذي كان مبنياً على الثقة اللامتناهية، والتي يمكننا أن نماثلها بالعلاقة بين الله الآب، والابن يسوع المسيح الذي هـــو الوحيد العالم ماهية وحقيقة أبيه. ونتيجة هذه الثقة وبنفس الطريقة، نجد أن كل من يؤمن بالمسيح يستطيع أن يشـــارك فعلـــياً في حـــياته، لأنـــه يحيا فينا بالإيمان وكمؤمـــنين به، بقوته وبمعرفته. لذلك كل شيء ممكن للذين يؤمنون، "*فقال له يسوع: "إذا كنت تستطيع! كلّ شيءٍ ممكن للذي يؤمن*" (مر ٩/ ٢٣)، ونحن نقبل هذا الإيمـــان ونؤمن به لأننا قد نلنا الروح القدس، الذي ينير عقولنا ويفتح أذهاننا، كي نتعمق في إيماننا ومعرفتنا بالله الواحد المثلث الأقانيم. أيضاً إن المسيح هو مثلنا الوحيد في رجائنا الإيماني، لأن كل موضوعاته وتعاليمه التي قام بها أثناء حياته الأرضية العلنية كانت تتضمن وتهدف إلى شـــيء واحـــد وهـــو: **التبشير بملكوت الله، وتوصيل الإنســـان وتعـــريفة أيضاً بمحبة الله الآب له.** من هذا

المنطلق، يمكننا القول: إن المسيحي الحقيقي، الذي يتمتع بشركة حقيقية مع المسيح يسوع، يستطيع أن يعيش في حياته الأرضية علامات الملكوت الذي وعد به المسيح أثناء تبشيره. وبالمثل نستطيع أن نعيش مثل هذه الحياة من خلال انفتاحنا على عمل الروح القدس الذي يمنحنا كل يوم مواهب متعددة عندما نصغي إليه. "*وليست وحدها، بل نحن الذين لنا باكورة الروح نئن في الباطن منتظرين التبني، أي افتداء أجسادنا، لأننا في الرجاء نلنا الخلاص، فإذا شوهد ما يرجى لم يكن رجاء، وما يشاهده المرء فكيف يرجوه أيضاً؟*" (رو ٨/ ٢٣- ٢٤). لأنه بدون معونة الروح القدس لنا في حياتنا، تصبح حياتنا بل وإيماننا وهماً عقيم لا جدوى منه، وكما يقول **أرنست بولك، يصبح الله اسماً نقياً في تركه مساحة فارغة في حياتنا [أي عندما لا تكون هناك علاقة بيننا وبينه يصبح بالنسبة لنا مجرد اسم فقط].**

المحبة أيضاً هي من طبيعة الله وذاتيته، (١ يو ٤/ ٨ - ١٦). لأنه إذا كان الله قد دعى الإنسان كي يعيش هذه الفضيلة، فهذا دليل قوي على أن هذه الفضائل هي من طبيعة الله ذاته. لذلك يصبح الإنسان مشتركاً اشتراكاً فعلياً في حياة الله الواحد والثالوث وحقيقته

الجوهرية. إن محبة الله القصوى تظهر من خلال خلاصه المجـاني الممنوح لجميع البشر. لأن الله تنازل وقدم ابنه الوحيد لأجلنا جميعاً، وأظهر الابن لنا هذا الحب العظيم عن طريق الروح القدس،"*والرجاء لا يخيب صاحبه، لأن محبة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وهب لنا*" (رو ٥/ ٥). لـذا علينا أن نجسد هذا الحب الإلهي في حياتنا مع القريب المحيط بنا الذي فيه نتلاقى مع المسيح ذاته، لأنه يرجع مرة أخرى إلى الله الآب. بهذا يرجع من جديد إلى الله الآب ونصبح نحن والآخرون معاً في دائرة الله "**أي دائرة المحبة الإلهية**" التي عليها يستطيع كلّ منا أن يؤسس حياته متحداً بالثالوث القدوس.

فضيلة التواضع:

لقـد أُطلق على القديس أوغسطينس بل وعرف عـنه كمعـلم التواضع بتواضعه الكبير الذي يعيشه في حـياته، من خلال شرحه وتأمله الكثير على ما جاء في إنجيل القديس متى، "*احملوا نيري وتتلمذوا لي فإني وديع متواضـع القلب، تجدوا الراحة لنفوسك*" (١١/ ٢٩). فهـذه الآية المذكورة تحدثنا عن فضيلة مسيحية سامية، مـتجاهلة ما يفعله الوثنيون في ذلك الوقت، لذلك نجد مكانتها وأهميتها قريبة من الفضائل الإلهية الثلاثة السابقة،

الإيمان، الرجاء والمحبة. لذا لم نستطع شرح وتحليل هذه الفضـــائل بفكرنا البشري، بل نعلق على ذلك ونرجعه لعظمة وضعف الإنسان في الوقت ذاته، تشبه تماماً شجرة غرســـت في أرض خصبة، مما ساعدها كي تمد جذورها في أعماق الأرض، مما يجعلها قوية صلبة أمام العواصف والـــرياح. كذلك الإنسان يمكنه أن يعيش هكذا عندما يتـــبع المســـيح في حياته وباختياره الحر يعيش التواضع الحقـــيقي الواعي. فالمسيح ذاته نوَّهَ على حياة التواضع عـــندما قـــال: "*متى دعيتم عليكم أن تتخذوا الأماكن الأخـــيرة في هذا العالم*" (لو ١٤/ ٧- ١١). ويمكننا أن نفســـر ونشرح هذه الآيات بطرق متعددة، لكن ذلك يعـــتمد على نقطة الانطلاق التي نريد أن نركز عليها، ويمكنـــنا هنا أن نشرح هذه الآيات بثلاث طرق مختلفة هي: التربية، الزهد، والعقيدة.

مـــن ناحية **التربية**، يوضح لنا هذا النص معياراً لســـلوك الأشـــخاص اللذين يمكن أن نرى فيهم ما قد تعـــلموه مـــن والديهم بخصوص السلوك مع الآخرين، كذلـــك مـــا يـــنص به المجتمع والعادات والتقاليد تجاه الآخرين. ففي بعض من المجتمعات نجد أهمية ترك الفرصة للآخـــر كـــي يعـــبر أمامـــنا من الباب، أو في **وسائل**

المواصلات عندما يقف شاب تاركاً مقعده لآخر متقدم في السن عنه، إلى آخره من هذه العادات والسلوكيات الحسنة، التي لا يمكننا أن نقوم بحصرها، وبعض التصرفات الصادرة من شخص ما تساعدنا كي نعرف ماهية تربيته وسلوكه الحسن. وبالرغم من ذلك نشعر، بل نرى عدم توافر الكثير والكثير من هذه الصفات الحسنة في شباب اليوم بطريقة واضحة للغاية، والسبب في عدم توافر هذه الصفات الحسنة في شباب اليوم، يرجعه أحد علماء النفس إلى تغير المجتمع نفسه. وقد كان في المناطق المدنية الهادئة سائداً هذا العرف أثناء الفسح والتزهات في الحدائق، وهو أن يظهر احترامه للآخر فيتركه، بل يعطية الصدارة ويجعله يمر قبلاً منه. لكن هذ مفتقد في عالم اليوم. فمثلاً نجد شخصاً ما يقود سيارته بالرغم من ازدحام حركة المرور بالمنطقة التي يمر بها، والسبب في ذلك هو رغبته في الحصول على مكان الصدارة لأنها أصبحت لغة عالمنا اليوم الصدارة، لمن يستطيع أن يغلب ويأخذ المكانة الأولى، وينتهيّ تقريباً هؤلاء بارتكاب الحوادث على الطريق. ولنتعلم من لعبة كرة القدم التي تعتبر مثالاً واقعياً لنا كلنا في مضمونها الجماعي، ولا يقل فيها أهمية كابتن الفريق عن صاحب

المكان الأول أو صاحب المكان الأخير، إنما جماعة تكون تركيب الفريق كله، لكل منهم دوره الهام في نجاح الفريق. لذلك نستطيع أن نتعلم منهم أن نتخذ لذواتنا المكان المناسب لنا، والذي نستطيع أن نعمل فيه بحق غير ناظرين لما يتسابق عليه الآخرون من المكانة الأولى.

أيضاً في الإنجيل المقدس مثل "**المكان الأخير**" إذا دعي شخص لوليمة. هذا المثل له عمق روحي نسكي في غاية الأهمية بالنسبة لنا كمؤمنين يحثنا على أهمية الحياة الروحية، نذكر منها البعض في الكلمات القادمة. نستطيع أن نعتبر حياتنا التي نحياها عبارة عن صراع دائم ومستمر على الفوز بالمكان الأول والأفضل. ويوجد بيننا من يستطيع الوصول والفوز بهذه المكانة، وآخر أقل تحقيقاً لذلك، وهناك من يظل بالفعل منتظراً في المكان الآخير، كلٌ منا حسب كفاحه ومجهوده الذي يبذله في تحقيق هدفه، وكذلك حسب نظام تقسيم الخير العام للدولة أو لبلد ما. لكن هنا السؤال الذي يطرح، **كيف يمكننا أن نصل للمكانة الأولى؟** يجيب البعض قائلين: عن طريق **الثورات، والانتقام** من الأشخاص اللذين استطاعوا أن يصلوا للمكانة الأولى. لكن يوجد رد آخر تقليدي وهو، **إن الله يريد ذلك ويقرره للإنسان،**

وهذا يعني أن هناك شخصاً آخر يفكر ويدبر لكل منا، لكن علينا ألا نفقد شجاعتنا في تحقيق المكانة الأولى في حياتنا من خلال اتقاننا لما نقوم به من أعمال. أيضاً الله يـــريدنا أن نفكر في كل الأمور المادية ونعطيها المكان الأخير، وأن نجعله هو صاحب المكانة الأولى في حياتنا، "*حطَّ الأقوياءَ عنِ العروش ورفع الوضعاء*" (لو ١/ ٥٢).

لم يؤســـس مملكـــة اسرائيل **شاولُ** الشخص المعروف والمشـــهور بقوتـــه، بل **داود** الابن الأخير الذي ولد في عائلـــة تعتبر السلالة الأخيرة بالنسبة للشعب الأسرائيلي في ذاك الوقـــت، "*وكان كلام الرب إلى ياهو بن حناني عـــلى بعشا قائلاً: "مع أني رفعتك عن التراب وجعلتك قـــائداً لشـــعبي إسرائيل، فلقد سرت في طريق ياربعام، وجعلت شعبي إسرائيل يخطأ ويسخطني بخطاياه*" (١ ملو ١٦/ ١..).ويذكر لنا الكتاب المقدس العديد والعديد من المخـــتارين في عيني الرب، وعبر تاريخ الكنيسة، وتؤكد هذا العذراء مريم في نشيدها، بل يسوع المسيح ذاته عاش هـــذا التواضع حتى الصليب، "*فمع أنه صورة الله لم يعد مســـاواته لله غنيمة بل تجرد من ذاته متخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر في هيئة إنسان فوضع نفسه*

وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي ٢/ ٦..) وهذا جعله يدخل في المجد الأبدي الذي لا يزول ولا ينتهي.

هـذا الشرح المبسط يتطلب منا أن نذكر بعض معطـيات العقيدة الهامة. لأننا نجد جذور حياة المسيح عـلى الأرض المستمدة من حياة الله الباطنية. فمن هنا يمكنـنا أن نعرف من هو الأول ومن هو الأخير. فمن خلال خبرتنا في الحياة المدنية، نعرف أن الأولين هم من ينشغلون ويعملون بكل ما لديهم من طاقة وإرادة، هم مـن يـتولون المسئولية ويطالبون بتنفيذ أوامرهم. أما الآخـرون هـم من لا يعملون البتة من ذواتهم، لكنهم ينفذون ما يوصون به الآخرون. في الحياة الأرضية تكون الحالة السابقة **بمثابة تواضع أليم**، لكنها تختلف تماماً في معناها في حياة الله. لأن الابن لم يكن أمامه اختيار آخر سوى عمل مشيئة الله وإرادته في حياتة وبكامل حريته، وهـذا هـو فعل التواضع الحقيقي، هو أنه جعل إرادته خاضـعة لإرادة مَن أرسله. وبهذه الطريقة نرى أن الله الآب أشرك ابنه في طبيعته، وباختياره في أن يضع إرادته الشخصية ورغبته في المكانة الأخيرة، ومقابل تنفيذ إرادة الله ومشيئته، منحه الآب في أن يشترك ويحظى بالمكانة الأولى الإلهية. فعلينا نحن كما يذكر لنا أحد المفكرين أن

نختار المكان الأخير، لأننا نعرف تماماً النتيجة التي سنصل إليها على مثال من نتبعه في حياتنا الإيمانية. وبهذا المعنى نصـــل إلى سر الثالوث القدوس، وما يحثنا عليه ويعرفنا إيـــاه في اتخـــاذ المكانة الأولى بالمعني المسيحي، وهي ألا نختار المكان الأخير، أمام أياً كان من **البشر**، لكن **أمام الله الآب العـــلي، وابنه يسوع المسيح**، حتى نستطيع معرفة إرادة الله لنا ومحاولة العمل على تحقيقها في حياتنا. واللذيـــن يستطيعون الوصول لهذه المعرفة هم الأشخاص اللذين يتمتعون بنعمة التمييز الروحي في حياتهم، هم من لديهم القدرة على تمييز الأصوات المختلفة التي يسمعونها، لذلك يميزون صوت الله. هذا كله يتم من خلال علاقة الإنسان القوية بالروح القدس، الذي يعاونه ويسانده في مواجهـــة صـــراعات الحـــياة المختلفة التي يواجهها في اختياراته، وإن كان اختيار المكانة الأخيرة بتواضع على مثال سيده.

الصـــلاة:

نقرأ في قصة حياة القديس **إغناطيوس دي يولولا** الآتي: "**إنـــه كان من عُبَّاد الثالوث القدوس، ففي كل يوم كان يصلي ويتضرع للأشخاص الإلهية الثلاثة كل**

منهم على حده، ثم يقوم بصلاة أخرى للثالوث القدوس، وهذا جعله واحدا من عباد الثالوث القدوس". ويعلمنا من خلال شرحه الآتي كيف يمكننا نحن القيام بهذا في حياتنا اليومية العادية. لنعتبر أن كل فعل بشري فعل ثالوثي ومن أجل الثالوث! لهذا يجب أن يكون فعلنا من أجل العظمة والرفعة والسمو، ولا نستطيع أن نصل إليهم إلا من خلال الصلاة. لقد علمنا المسيح أن نقول: "**أبانا الذي في السموات** ..." وفي الوقت نفسه أن نطلب ونسأل باسمه (يو ١٥ /١٦). وأيضاً في الروح القدس، "*لم تتلقوا روح عبودية لتعودوا إلى الخوف، بل روح تبنٍّ به ننادي: أَبّا، يا أبت!*" (رو ٨ / ١٥، غلا ٤/ ٦). ومن هنا قد أصبح كعرف متفق عليه في ختام الصلوات الطقسية وهو، "**إن كل صلاة ترفع إلى الله الآب، عن طريق الابن، وبقوة الروح القدس**".

الصلاة حوار مع الله الآب ساكن السموات، فبها ندخل إلى العالم الإلهي، والروح القدس هو الذي يساعدنا لنصل إلى هذه الدرجة العالية. لكن يظل العامل الأساسي والدائم هو مقدار التفاعل الشخصي مع الروح القدس، لأن تفاعل كل منا يختلف عن غيره في تحقيق

ومعايشة القداسة الشخصية، قداسة الكنيسة جمعا. لهذا يرفع الأشخاص يرفعون صلاقم طوعاً من أجل ذواقم، ومـــن أجل جميع من يسألهم الصلاة من أجله، وهؤلاء الأشـــخاص يمكننا حقاً أن نطلق عليهم لقب قديسين. عليـــنا أن ننتـــبه أن هذا النوع من الصلاة لا يعفينا من الاشتراك في الصلوات الطقسية الجماعية، التي من خلالها تُقـــدَم لنا الأسرار [**المقصود هنا سر الأفخارستيا**]، لأن الكنيســـة من خلال هذه الأسرار تحيا حقاً بقوة الروح القـــدس بطريقة غير مرئية. إن الصلاة في الروح القدس تكون أيضاً في اسم المسيح، لأن الروح هو الذي يساعد الإنســـان في حياته كي يكون مسيحاً آخر، وهو الذي يوحد الإنسان باطنياً مع يسوع المسيح ابن الله الوحيد. لا يكفي أن ندعو الله **آبا**، لأننا **إذا كنا نقول إن الصلاة توحدنا بيسوع المسيح**، وهو آب للابن الوحيد ونحن قد أصـــبحنا إخوة ليسوع المسيح، فيجب علينا أن ندعوه قـــائلين: "**أبانا**". فاذا كانت صلواتنا ترفع إلى الله الآب عـــن طريق الابن وبقوة الروح القدس، فلماذا نلتجأ إلى القديسين ونصلي لهم؟ الرد سهل وبسيط، لأن القديسين في حالة اتحاد مع المسيح بطريقة خاصة! فمثلاً في صلاة الطلـــب عـــندما نطلـــب نعمة ما خلال صلاتنا، حتى

تســاعدنا كــي نحيا في حياتنا بطريقة أفضل في الاتحاد بالمسيح. فالشخص الأول مانح النعمة هو الله ذاته، ومن خــلال توسلنا لشخص ما[**المقصود هنا القديس المراد التشفع به**] يقوم بتوصيل صوتنا وطلبنا إلى الله، متى كان ذلك موافقاً لإرادة الله في حياتنا، متخذين مريم كمثال لــنا في عرس قانا الجليل، متمتعين وممنوحين من خلال صلاتنا قلباً تائباً ورحيماً.

لأنـــه مـــن هـــذا المنطلق الذي ننظر منه للصلاة والأسباب التي تدفعنا أن نصلي نجد العديد والعديد من الــردود على الأسئلة التي تطرح علينا، أو التي نطرحها على ذواتنا. لكن المشكلة تكمن في البعض ممن يصلون ويرغبون في ذات الوقت أن يحكموا على العالم من خلال وجهـــة نظـــرهم وفيما يحدث فيه من كوارث طبيعية. فكـــيف يمكننا أن نتغلب على هذه المشكلة؟ يرد علينا أحـــد الفلاسفة اليهود وهو **فيلون الإسكندري**[٤٩]، فقد اتخـــذ موقف الله من الشعب اليهودي في العهد القديم، وهو عثرة لمن يقرأه بالنسبة ليهود، كي يشرح لزملائه أن

٤٩ فيلون الإسكندريّ فيلسوف يهوديّ الأصل، عاصر الجيل المسيحيّ الأوّل. ترك عدّة مؤلّفات في التاريخ الكتابيّ.ربّما أثّر أسلوبه التفسيريّ الرمزيّ التمثيليّ وإلهامه الأفلاطونيّ الجديد في آباء الكنيسة اليونانيّة (١).

الله وضع للطبيعة نظامها، وعلينا جميعاً أن نقبله ونقبلها بكـــل ما تحمل لنا. لأن الله في بعض الأحيان قد صنع معجزات معهم وهذا كان بمثابة ضد الطبيعة، مثل عبور مياه البحر الأحمر. أيضاً يؤكد فيلون على قدرة الله غير المحـــدودة، لأن الله حـــر وقادر على عمل ما هو خير للإنسان متى شاء، حسب إرادته، وكذلك الإنسان يجب أن يتمتع بهذه الحرية لأنه مخلوق على صورة الله في قبوله قوانين الطبيعة.

في نفس مدينة الإسكندرية في نهاية القرن الثاني قد تأسســـت **مدرسة الإسكندرية للتعليم المسيحي، [هي من أشهر المدارس التي تدرس تعاليمها حتى يومنا هذا في كـــل الجامعـــات والمعـــاهد المختصة بالدراسات اللاهوتية في العالم وبصفة خاصة في أوربا]**، حيث كان يدرس **أوريجينس**، وقد كتب في بداية كتابه عن الصلاة، مبتدأً بهذه المشكلة التي قد ذكرها سابقاً، **نصلي طالبين من الله كي يغير مجرى الطبيعة**. فمثلاً، إنسان يعاني من مرض ما ومن خلال التحاليل والنتائج التي أجريت عليه تـــبين أن هذا الشخص سيموت قريباً، وفي ذات الوقت بطريقة تلقائية نحن نصلي من أجل أن يمنحه الله الصحة والعافية! وحقاً قد يعافى هذا الشخص، **فكيف يمكننا أن**

نشـــرح هـــذه المعجزة التي تمت؟ يرد علينا **أوريجينس** بـــنوعين مــــن الإجابـــة، واحد منهما **عقائدي**، وآخر **فلســـفي**. السبب الحقيقي هو العقائدي الخاص بقوانين الطبـــيعة، لايمكننا أن نشرحه أبداً، لأن الطبيعة منذ أن خلقها الله وهي تسير على نظام وقوانين لا يمكن تغيرها. **لكـــن الصلاة في الروح من خلال الابن تحول الحوار الحـــر بـــين الأشخاص الإلهية التي تعطي قوانين العالم ونظام طبيعته، ونحن نقبل هذه الفكرة**. وهذا لا يعني أن الله يغير أفكاره وأوامره للطبيعة، لكن صلواتنا التي نرفعها لله الآب في الـــروح ومـــن خلال الابن، تعمل بطريقة عجيـــبة وســـرية في تغيير العالم.فصلاتنا تسمع من الله ويســـتجيب لنا على حسب إرادته في حياتنا، حتى وإن كنا نشعر في كثير من الأحيان أن الله لا يستمع لصلاتنا ولا يولـــيها اهتماماً. نجد أيضاً في شروحات **أوريجينس** المتعمقة تبريراً لهذا الموضوع فيقول: "**يأتي الإنسان لهذا العـــالم، ودعوتـــة قـــد حددت من قِبَلِ العناية الإلهية وهدفها الوصول به للحياة الأبدية من خلال تجاوبه**". لأنـــنا نؤمن جميعاً أن السبب الحقيقي لوجودي في هذا العـــالم هــــم والدوينا، وبنفس السياق يقول أوريجينس أيضـــاً: "**صلواتنا بهذا المعني تصبح مثل أب، وأم**" في

الأحداث التي يمر بها العالم. لأن العالم قد خلق من الله، ونحن من نتمتع بإقامة حوار مع هذا الخالق. وبهذا يمكننا حقاً أن نكتشف عظمة دعوتنا كمسيحيين مشاركين في حياة الله الواحد والثالوث الخلاقة في العالم.

يوجد أسلوب آخر من الصلاة مع صلاة الطلب وهو **الصلاة التأملية**، وفي صلاة الطلب **نحن المتحدثون إلى الله**، لكن في صلاة التأمل **الله هو المتحدث إلينا**، وإيماننا يعلمنا هذا أن الله يتحدث بداخلنا، وعلى حسب فكر **فان بلتصر، أن هذا حقاً يعبر عن الإيمان المدعِّم للشخصية المسيحية الحقيقية هي الصلاة التأملية، لأن الإنسان من خلال صمته يستطيع أن يستمع إلى الله حقاً**. وبالإضافة إلى ذلك، يتحدث الله إلينا من خلال ابنه الوحيد وبقوة الروح القدس، إذاً علينا أن نصغي جيداً لسماع الثالوث المشترك معنا في الصلاة. لأن **الآب** منذ الأزل قد نطق بكلمتة الأزلية، **الكلمة التي تجسدت في العالم، أي الابن**، "*وانطلق صوت من الغمام يقول*: "*هذا هو ابني الذي اخترته فله اسمعو*" **(لو ٩/ ٣٥)**. وتصبح صلاتنا تأملية حقاً عندما تكون في المسيح، "*إن الله ما رآه أحد قط الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه*" (يو ١/ ١٨). والمسيح قد أكد على

ذلك بقوله: *"قال له يسوع: "إني معكم منذ وقت طويل، أفلا تعرفني، يا فيلبس؟ من رآني رأى الآب. فكيف تقول: أرنا الآب؟ ألا تؤمن بأني في الآب وأن الآب فيّ؟"* (يو ١٤/ ٩). فقد كانت كل أعمال وصلوات المسيح موجهة للآب، ونحن المؤمنون به يجب أن تكون حياتنا تمجيداً مستمراً في هذا العالم وحتى نهايته لله الواحد المثلث الأقانيم، إلى أن يأتي اليوم الذي سنعاين فيه وجه الآب والابن والروح القدس وجهاً لوجه. حتى وإن كان يوجد من حاول شرح كيفية رؤية وجه الله الآب فمثلاً، **إقليمنضُس الإسكندري**[٥٠] يقول: "**إن المسيح هو وجه الآب، وسيظل هو الوحيد الذي يمنحا معرفة الآب**". لهذا يتوجب علينا عندما نريد قراءة الكتاب المقدس، أن ندعو الروح القدس كي يساعدنا على فهم هذه الكلمة المحيية، نطلب منه كي يمنحنا نوره المحتاجين إليه في حياتنا. وقد كتب القديس باسليوس في هذا الصدد قائلاً: "**إن الروح القدس يعلمنا ويذكرنا ما قد تعلمه**

---

٤٩ يرجَح أنه ولد في اليونان في حوالى ١٥٠ واهتدى إلى الدين المسيحيّ، فجاء إلى الإسكندريّة وأكمل فيها تكوينه، ثمّ علّم في مدرسة فتحها بَنْدينُس، من ١٨٠ إلى ٢٠٢. مات في قبَدوقية، ولا يُعرف تاريخ وفاته. بيّن في أهمّ مؤلّفاته كيف أنّ الفلسفة اليونانيّة مهّدت السبيل، بعناية إلهيّة إلى المسيحيّة (١).

هو من إصغائه لكلمات الابن". وهذا ما نسميه التفسير الأولي للكتاب المقدس، والذي من خلاله نعرف كل ما عملـه يسوع المسيح أثناء حياته على الأرض، وأعماله الـتي مازالـت مستمرة في كنيسته والعالم، والمطالبين بمعايشتها في حياتنا العملية وتطبيقها مع القريب. حقاً إن الصلاة التأملية تحوِّل طبيعة من يتأمل فيها، وتجعله يدخل في معـرفة حـياة الله الباطنية، ويتمتع بنعمة الحوار مع **الآب، والابـن، والروح القدس**. لكن **إيفاغرو** يؤكد على أن الدرجة العظمى في السمو الذي يناله المتأمل من خـلال صلاته أو علمه اللاهوتي هو، **تأمله في الثالوث القدوس**.

مريم النموذج الحقيقي للحياة البشرية / الإلهية:

لمعرفة الإنسان من منطلق إلهي، علينا أن نتأمل في المكانة الأولى دعوته. لأن الإنسان خلق كي يقوم بدور هـام في قصة الخلاص، وبالحرى مريم العذراء التي قبلت أن تشترك في خلاص العالم بطريقة مباشرة بقبولها وقولها **نعم** للرب. لذلك نجد العديد والعديد من علماء اللاهوت المريمي يطلقون عليها صفة **أم الإله، هذه الصفة لم ينعم**

الله على أحد آخر بحملها سوى مريم العذراء. لأنه إذا كان الله قد اختار مريم العذراء **لتكون أماً للمسيح**، لأنها بلا خطيئة، لأن **الله سبق واختارها لتصبح أماً له؟** وكي نتعمق في سر العذراء مريم بطريقة أفضل، علينا أن نتأمل جيداً **تجسد ابن الله الكلمة الأزلية.**

إن سر التجسد يظهر لنا أعظم عمل إلهي من أجل البشرية، وفي تاريخ البشرية، إنه حدث فريد من نوعه لم يتكرر ولن يتكرر. لما جاء ملء الزمان، في مركز تاريخ البشرية، أي في أهم اللحظات التاريخية التي مرت بها البشرية عبر القرون الطويلة التي مر بها العالم، نجد عمل الأشخاص الثلاثة الإلهية يبدأ بوضوح في وسط البشرية ومن أجل البشرية. ففي التأملات الروحية لرياضة القديس إغناطيوس دي يولولا، يوجد بها تأمل يدور محوره على هذا الاختيار الإلهي بأن يقبل ويتجسد في العالم، ومحور هذا التأمل قائم على **التخيل للحوار والمناقشة الكائنين بين أقانيم الثالوث القدوس** بخصوص هذا الموضوع الهام للغاية، والذي غير وجه البشرية والعالم. وبعد حوار طويل يتفقون معاً وينطقون قائلين: "**لنعمل على خلاص الإنسان**". الآب الأزلي يلد ابنه وكلمته الأزلية، ويرسلها للعالم معطياً إياها شكلاً

جسـدياً، كـي يمـاثل ويشابه البشر. الابن يقبل هذا الاختيار وهذه الإرسالية للعالم بقوة الروح القدس. لقد حبل بيسوع المسيح عن طريق الروح القدس، لذلك هو قدوس الله الكامل والذي بلا عيب ولا دنس، والذي من خـلال تجسده قد تقدس العالم كله. إن سر التجسد قد قلب نظام الطبيعة المتعارف عليها، لأنه بميلاد أي إنسان عادي يبدأ بالجسد في المقام الأول، ثم بعد ذلك مع مرور الوقـت تـبدأ نشاطات النفس والروح. لكن بتجسد المسـيح الخطوة الأولى والعمل الأول كان للروح الذي قبل أن يصير إنساناً، وبهذا يتضح لنا موافقة الابن الحرة على اختياره في أن يكون إنساناً.

إن كل ما سبق وذكرته قد أعطي من خلال مريم العـذراء، من أجل جميع البشر. وهناك مقطع صلاة في الطقس البزينطي خاص بعيد الميلاد يقول: "**ماذا يمكننا أن نقـدم لـك أيها المسيح، لأنك تولد على أرضنا كإنسـان عادي! لأن كلا منا موجود بسبب عملك المحـول في حياته. ففي الحقيقية نأتي إليك مع أنشودة الملائكـة، الـتي مـلأت السماء والأرض، والمجوس وتقدماتهم لك، إعجاب الرعاة، حدث المغارة العظيم، بل حدث الأرض كلها، الصحراء والجبال. نحن البشر**

لا نملـــك شيئاً نقدمه لك سوى أمنا مريم العذراء، أم البشرية جمعا".

عندما تبدو رغبة الوالدين في أن يكون لهما طفل، يجب على الأم أن تعبر عن موافقتها بإرادتها الحرة، لأنها هـــي الـــتي تعطيه وجوده. كذلك مريم العذراء أعطت وعـــبرت عـــن رغبتها بقبولها في ميلاد المسيح، وبذلك عبرت عن رغبة كل البشرية جمعا، وبهذا اتحدت الرغبة البشـــرية بالرغبة الإلهية الأزلية. لذلك نجد **نسطور**[٥١] لم يقبل هذا وقال: "**إن مريم ليست أماً لله، لكنها فقط أم يسوع الإنسان، ولكن الله اتخذها كهيكل ليسكن فيه فقط**" . قد أدينت هذه التعاليم التي نادى بها نسطور في مجمـــع **أفسس**، وأوضح هذا المجمع **أن شخص المسيح** واحد، **الطبيعة الإلهية/ البشرية متحدتان معاً، كذلك مـــريم أم ليســـوع الإلهي والبشري، المسيح من لدن الآب، ومـــريم من خلائقه**. ففي هذه الحالة نجد الرغبة

---

٥١ متوحّد وكاهن أنطاكيّ، دعاه الأمبراطور ثيودوسيوس الثاني في ٤٢٨ إلى الكرسيّ البطريركيّ القسطنطينيّ. فكان تعليمه حجر عثرة وأثار تدخّل القديس كيرلّـــس الإسكندريّ، ثمّ تدخل البابا قلستينس، فحرمه في ٤٣٠. وصرَّح مجمع أفســـس ٤٣١ بأنّ إحدى رسائله العقائديّة هرطوقيّة، وعزله. ونفي نسطور في وقـــت لاحـــق إلى البتراء، ثمّ إلى ليبيا حي توفّي بعد المجمع الخلقيدونيّ ٤٥١. يُنسب إليه "كتاب هيراقليوس الدمشقيّ" وهو دفاع عن مذهبه وسلوكه (١).

السمائية الإلهية تأتي عن طريق الله الآب، والرغبة البشرية الحـــرة عن طريق مريم العذراء، وهاتان الرغبتان تتحدان تماماً في إتمام رغبة واحدة وهي خلاص البشرية. إذاً مريم اشـــتركت حقاً برغبتها هذه في حياة الثالوث القدوس، لأنه من خلالها دخل الله الآب إلى العالم عن طريق ابنه الوحـــيد، والروح القدس حل عليها، وامتلأت نفسها بالـــنعمة، بـــل وجسدها أيضاً، وتحول عمل أعضائها الطبيعة إلى عمل مقدس، وبهذا أستطاعت حقاً أن تكون مشـــتركة في إنجاب قدوس الله، وابنه الوحيد في صورة جسد بشري.

نذكـــر هـــنا في هذا المجال ما قد ذكره اللاهوتي الروســـي **سيرجي بولجاكوف**، **الذي يقول: "إن ولادة الله الإله/ الإنسان من مريم العذراء طبيعي، لكننا نراها كمعجـــزة المعجـــزات"**، وهذا حقاً وبدون جدال أنها معجـــزة المعجزات، لأنه إذا كانت شخصية بشرية مثل العـــذراء مريم استطاعت أن تحمل إلى أرضنا الله الأزلي الذي انتظرته البشرية منذ بدايتها، فبالحقيقة ينطبق على مـــريم لقب **نهر النعمة الإلهية المتدفق علينا وبيننا**. ومن ناحية أخرى، احترام الله طبيعتنا البشرية، وأعطانا القدرة على تأليهها، لأنه قد اشترك في طبيعتنا ودعانا للاشتراك

في طبيعــته. فمريم العذراء استطاعت حقاً ان تصل إلى هــذه الدرجــة العظمى السامية، استطاعت أن تكون مشاركة لله في طبيعته، وعمله الإلهي على هذه الأرض. لذلك حاول العديد من اللاهوتيين أن يطلقوا لقباً شاملاً يجمعــون فيه صفات مريم العذراء، لكنهم أعطوها هذه الألقاب المختلفة كل منهم حسب وجهة نظره الخاصة، فمــثلاً لقبت بــ **المحررة، الممتلئة نعمة، أم الله، كلية القداسة، المشتركة في عمل الثالوث القدوس من أجل خلاص البشرية، والعالم.**

كيف يمكننا أن نحيا سر مريم العذراء في الأشخاص الآخرين؟

إن كــل امرأة تلد أبناء على هذه الأرض، مثلما فعل الله الآب في السماء وولد ابنه الوحيد. يتخذ الأبناء حــياتهم مــن الأم من خلال اتحادهم الداخلي حتى يوم الميلاد، لكن هنا أود أن أوضح أن اتحاد الآب بالابن منذ البداية، وسيظل دائماً دون تغيير ولا انفصال. ففي عالمنا أنه من الطبيعي جداً أنفصال الأبناء عن والديهم عندما يبلغون سن الاعتماد على الذات، وينفصلون عنهم وهذا أمــر طبيعي. لكن المشكلة تكمن في الألم الذي يصيب

الوالديـــن من هذا الانفصال، وبصفة خاصة حينما يعبر الأبـــناء عـــن عـــدم احتياجهم لوالديهم في هذه الحياة فينتابهما ألم في غاية الصعوبة والمرارة، لكنهما يتقبلانه. وهنا نذكر ما عبر عنه الفن الإيطالي من خلال الأيقونات المخـــتلفة، التي حاول الفن الإيطالي أن يجسد فيها مدى أرتباط مريم العذراء بالطفل يسوع واتحادهما أيضاً. ففي أحدى اللوحات نجد هذا الاتحاد القوي، في لوحة أخرى لرســـام ذاتـــه العكس تماماً، فهو يجسد لحظة الانفصال بيـــنهما، ويظهر الرسام مدى قوة الألم التي انتابت مريم مـــن هـــذا الانفصال، لأنها تألمت معه على مدار حياته الأرضـــية، وبصفة خاصة عندما بدأ طريق الألم الفعلي والحقـــيقي طـــريق الصليب، والمدهش كما يعبر الفنان بلوحـــته هذه أن إيمان مريم بابنها لم ينتابه تأثير سلبي في جمـــيع مراحل حياتها، بل كانت تحفظ كل هذه الأمور وتتأملها في قلبها. يوجد شعور وإحساس قوي يجب على كـــل **أم مسيحية** أن تستمد منه قوتها وهو أن أولادها سيســـيرون في الطريق الذي سلكه ابن الله، **طريق حمل الصليب والألم**، لأن إيماننا المسيحي يؤكد بأننا سنكون مـــتحدين به اتحاداً غير منفصل، وهو حاضر في حياتنا الأرضـــية مـــن خلال اتحادنا في الصلاة. أيضاً الأمهات

اللواتي يشعرن بأهن متروكات من أبنائهن، عليهن عدم استـــخدام قوهن، بل عليهن مضاعفة الصلاة من أجل أبنائهن. لأن الصلاة في الروح القدس تغير حقاً العلاقة في الحياة الداخلية للأشخاص.

نذكـــر هنا كمثل العذراء مريم التي ولدت يسوع المسيح، واعتنت به طوال حياته لأنه جزء منها. وفي سن الثانية عشرة، يعلن يسوع بداية اعتماده على ذاته بصورة غير مباشرة، ونجده في الهيكل، "*وكان أبواه يذهبان كل ســنة إلى أورشليم في عيد الفصح. فلما بلغ أثنتي عشرة ســنة، صــعدوا إلــيها جرياً على السنة في العيد. فلما أنقضـــت أيــام العــيد ورجعا، بقي الصبي يسوع في أورشــليم، من غير أن يعلم أبواه*" (لو ٢/ ٤١، ٤٢). أيضاً كم هو مؤلم لمريم العذراء عندما بدأ يسوع رسالته العلنية التبشرية والتعليمية عن ملكوت السموات، وترك أمـــه وحيده تعاني آلام الفراق والانتظار له عند رجوعه للمترل، كأي أم تنتظر ابنها عودة ابنها للمترل. ثم بعد ذلـــك تواجه لحظة من أشد اللحظات عذاباً وحرقة التي واجهـــتها في حياهما ولحظة موته على خشبة الصليب. ونحـــن كمسيحيين مؤمنيين أن سر **القيامة في المسيحية يســـبقه ألم الصليب**. وقيامة المسيح وارتفاع العذراء إلى

السماء يوضحا لنا علاقة الأمومة الحقيقة مع أولادها، وفي هذه المرة تدخل في علاقة قوية مع أفراد الثالوث القدوس. لأن العلاقة القائمة بين أم وأولادها، تخدم في طابعها الأول كل الحياة البشرية. استطاعت مريم حقاً إقامة هذه العلاقة واشتركت في الحياة غير الفانية، بل في حياة الثالوث القدوس، الآب، والابن، والروح القدس.

الخاتمة:

في عــيد تقديم العذراء للهيكل، والذي يحتفل به ٢١/ ١١ من كل عام، وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد من عام ١٩٠٤، نجد القديسة **أليزابتا الثالوثية** تنشد صلاتها الشهيرة الآتية:

"يــا إلهي، أيها الثالوث القدوس الذي أعبده، ساعدني على أن أنسى نفسي تماماً، لأقيم فيك لأكون متيقظة في إيماني، عابدة إياك بكليتي، مُسلمة ذاتي كلَية لعملــك الخلاق. يا مسيحي المحبوب، المصلوب بدافع حبه، أريد أن أحبَّك حتى الموت! ولكني أشعر بعجزي. لذلك ألتمس منك أن تلبسني إياك، وأن تجعل نفسي تطابق جميع حركات نفسك، وأن تغمرني وتتغلغل فيّ وتحل محلّي حتى لا تكون حياتي إلا شعاعاً من حياتك. فــتعال فيّ أنتَ، عابداً، مصلحاً، مخلصاً. أيها الكلمة الأزلي، يــا كلمة إلهي أريد أن أمضي حياتي في مصغية لك، أريد أن أجعل نفسي كلها تلميذة لك حتى أتعلم كــل شيء منكَ. ومن خلال الظلمات كلها والفراغ كلّــه والعجــز كلّه. أريد أن أحدق فيك دوماً بعيني فأظل في نورك الساطع. يا نجمي المحبوب، أغوني حتى

لا أستطيع بعد الآن أن أخرج خارج إشراقك. أيتها النار الآكلة، يا روح الحب. حل فيّ حتى يتم في نفسي ما تم حين تجسد الكلمة، لأكون بمثابة إنسانية إضافية يُجدد فيها سر حبه كلّه. وأنتَ، يا أبتِ، أمل نحو خليقتك الصغيرة المسكينة وظللها بظلك، ولا ترَ فيها إلا الحبيب الذي عنه رضيتَ. يا ثلاثتي، يا كلّي، يا سعادتي أيها التوحُّد اللامحدود، أيتها اللانهاية حيث أرتمي إني أسلم لك ذاتي فريسةً. ادفن نفسك فيَّ حتى أدفن نفسي فيك، إلى حين أنطلق فأشاهد في نورك هاوية عظمتك الأبدية التي لا تنتهي. أمين".

الفهرس:

إصدارات مركز القديس بطرس للبرمجة والنشر- مصر

١- اسطوانة الكفن المقدس للأب يوأنس لحظي

٢- اسطوانة مراحل درب الصليب للأب يوأنس لحظي .

٣- كتاب الوردية المقدسة ط٢ للأب يوأنس لحظي .

٤- تأملات في أناجيل الآحاد للأب بيشوى يسى

٥- طرق النمو الروحي للأب بيشوي يسى

٦- تعاليم عن الكنيسة ط٢ ترجمة الإكليريكي دانيال أيوب .

٧- نحن في الثالوث ترجمة الإكليريكي دانيال أيوب .

تحت الطبع:

١ - المسيح الدجال للإكليريكي ملاك وهبة.

٢ - تأملات روحية في الصلاة الربانية للإكليريكي دانيال أيوب .

تطلب هذه الكتب من مركز القديس بطرس
للبرمجة والنشر - مصر
وجميع المطرانيات الكاثوليكية، والمكتبات
المسيحية
للاستعلام أو لطلب كميات يرجى الأتصال بـ
٠١٠٢٧٩٦٣٥٠.

إن هذا الكتاب لا يتحدث عن الله، إنما يتحدث في الله ذاته ! إنه لا يجادل ولا يناقش على ماهية السر، لكنه يدخل بك إلى عمق السر الثالوثي، من خلال الخبرة الروحية الطويلة المصحوبة بالدراسة المتعمقة، التي تساعدنا على الدخول في عمق حياتنا التي نحياها، في عمق قلوبنا، إلى عمق كياننا. من خلال إلقاء الضوء على بعض النصوص الكتابية، وبالرجوع إلى ما ذكره آباء الكنيسة على مر العصور، وبالاستشهاد بالخبرات الروحية لبعض الشخصيات. غنى هذه الصفحات يُظهر حقا عمل المحبة العظيم المقدم من الله للإنسان على مر العصور. لأن الله يفتح للإنسان المجال ليفكر فيه ويساعده على التوصل لمعرفة طبيعة حياته الإلهية ، من خلال ما يوحي به له من معرفة حقيقية. إنها معرفة مصحوبة من الإنسان بالحب الإلهي الذي يدفعه للسعي لاكتشاف ما هو مكنون من عظمة داخل سر الثالوث القدوس. إنه سعي مصحوب بشجاعة وحب لا مثيل لهما من الإنسان المحب حقا لله فى حياته .